www.al-milani.com

اعرف الحق تعرف اهله
(٣٨)

تلخيص من هم قتلة الحسين سيعة الكوفة؟

الجزء الثاني

تأليف

آية الله السيد على الحسينى الميلانى

مركز الحقائق الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرف أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية الله الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين الله عزّ وجلّ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

البابُ الثاني

دور الحزب الأُموي

والخوارج في الكوفة

قد أوضحنا في ما تقدّم دور معاوية في استشهاد الإمام عليه السلام في العراق، وقد توصّلنا في دراستنا إلى أنّ معاوية بعد أن عزم على العهد لابنه يزيد، تمكّن من القضاء على سائر المعارضين، أو إسكات من تمكّن من إسكاته منهم، ببذل الأموال أو التهديد، فأزال العقبات حتّى لم يبق إلاّ الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام وعبدالله بن الزبير، لكنّه كان عارفاً بالإمام وملكاته النفسيّة، ثمّ موقعيّته في المجتمع والأُسرة الهاشمية خاصّة...

على أنّه كان قد تعهّد أن لا يبغي للإمامين السبطين الحسن والحسين عليهما السلام سوءاً.

ولمّا اغتال الإمام السبط الأكبر ـ على يد جعدة بنت الأشعث ـ وشاع الخبر وافتُضح أمام المسلمين، فلم ير من مصلحته أن يتعرّض لأبي عبدالله عليه السلام...

فقام بتدبير مؤامرة ضدّ الإمام عليه السلام، ونسّق مع أتباعه في الكوفة والخوارج المناوئين لأهل البيت عليهم السلام هناك، وأمر ولاته في البلاد أن يقوم كلٌّ منهم بالدور المناسب، فجعلوا يطاردون الإمام من داخل الحجاز، من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، في حين

تدعوه كتب أهل الكوفة إلى التوجّه إليهم... فأرسل إليهم ـ أوّلا ـ ابن عمّه وثقته مسلم بن عقيل... وأمره بالستر والكتمان... وهنا لعب والي الكوفة دوره، حتّى انكشف أمر مسلم وشيعته... فخرجت وصيّة معاوية بتولية عبيدالله بن زياد على الكوفة، فكان ما كان...

ثمّ جاء دور يزيد...

فطبّق الخطّة بجميع أطرافها... فقد رأينا كيف ولّى عبيدالله بن زياد على الكوفة وأمره بقتل مسلم بن عقيل، ثمّ أمر بقتل الإمام عليه السلام بعد اتّخاذ الإجراءات اللازمة في الكوفة وضواحيها... فلمّا امتثل ابن زياد الأمر ونفّذه حسنت حاله عند يزيد ـ الذي كان يكرهه في زمن معاوية ـ ، ثمّ أمر بحمل الرؤوس الطاهرة وعيالات الإمام عليه السلام إلى الشام... إلى آخر ما ذكرناه في الباب السابق.

والكلام الآن... في دور حزب بني أُميّة ورؤساء الخوارج، وأنّه هل كان لوجهاء لشيعة أهل البيت عليهم السلام في الكوفة دور في قتل الإمام عليه السلام، أوْ لا؟

لقد علمنا أنّ الكتب كانت تتوارد على الإمام إلى المدينة منذ عهد معاوية، ثمّ جعلت تتواصل ولم تنقطع حتّى الأيّام الأخيرة من حياة الإمام في الحجاز...

فهل كانوا جميعاً شيعةَ الإمام؟!

وهل شارك الشيعة في قتله عليه السلام؟!

يقول بعض الكتّاب من أنصار بني أُميّة: إنّ شيعة الكوفة هم الّذين دعوه، وخذلوه، وقتلوه!

لقد أثبتنا ـ في ضوء الأخبار والتواريخ المعتمدة ـ أنّ الّذين باشروا قتل الإمام عليه السلام وأصحابه لم يكونوا من الشيعة، وإنّما كانوا من الحزب الأُموي والخوارج في الكوفة، ونحن نظنّ أنّ القارئ المنصف سيجد وفاء أدلّتنا بإثبات هذه الدعوى، وسيوافقنا على النتيجة التي توصّلنا إليها.

* * *

تمهیدات

وإنّ من الضروري، قبل الورود في البحث، التعرّض للأُمور التالية باختصار شديد...

الأمر الأوّل:

إنّ حال الإمام الحسين عليه السلام حال جميع الأنبياء الكرام في الأُمم السابقة، وحال جدّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في هذه الأُمّة... وكذلك حال سائر أولياء اللّه والمصلحين الإلهيّين... فلقد أدّى كلٌّ منهم رسالته في أُمّته، سواء استجابت له أو لا... وصبر على ما لقيه من أصحابه وغيرهم من الأذى والبلاء.

والقرآن الكريم مشحونٌ بأنباء الرسل والأنبياء...

وقد تنبّه لهذا المعنى في خصوص أمر الإمام أبي عبداللّه الشهيد هلالُ بن نافع...

فإنّه لمّا بلغ الإمامَ خبرُ شهادة مسلم بن عقيل بالكوفة، استعبر باكياً ثمّ قال: «اللّهمّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلا كريماً عندك، واجمع بيننا وإيّاهم في مستقرّ رحمتك، إنّك على كلّ شيء قدير»، وثب إليه هلال فقال:

«يا ابن بنت رسول اللّه! تعلم أنّ جدّك رسول اللّه لا يقدر أن يشرب الخلائق محبّته، ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحبّ، وقد كان

منهم منافقون يبدونه النصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويلحقونه بأمرّ من الحنظل، حتّى توفّاه اللّه عزّ وجلّ.

وإنّ أباك عليّاً قد كان في مثل ذلك، فقوم أجمعوا على نصره وقاتلوا معه المنافقين والفاسقين والمارقين والقاسطين، حتّى أتاه أجله.

وأنتم اليوم عندنا في مثل ذلك الحال (**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**)[1] واللّه يغني عنه، فسر بنا راشداً، مشرّقاً إنْ شئت أو مغرّباً، فواللّه ما أشفقنا من قدر اللّه، ولا كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا على نيّاتنا ونصرتنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك»[2].

الأمر الثاني:

إنّ الإمام عليه السلام كان على علم تامّ بنيّات القوم وما سيقع عليه، وكلّ الأدلّة والقرائن قائمة على ذلك، وقد صرّح به في كلّ مرحلة..

فتارةً: قال: «واللّه لا يَدَعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة ـ وأشار إلى قلبه الشريف ـ من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلَّط عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأَمَة»[3].

---

(١) سورة الفتح ٤٨: ١٠.

(٢) انظر: الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٩٣.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٣١، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٠، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٦، بغية الطلب ٦ / ٢٦١٥ ـ ٢٦١٦، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥.

وأُخرى: قال ـ لدى خروجه من مكّة ـ «واللّه لأنْ أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليَّ من أنْ أُقتل داخلا منها بشبر، وأيم اللّه لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا فيَّ حاجتهم، واللّه ليعتدنّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت»[٤].

وثالثةً: في الطريق، حيث أخبر عن أصحاب الكتب أنّهم سيقتلونه... وسيأتي بعض التفصيل.

فقد كان عليه السلام على علم بقتله، وبموضع قتله... كسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام... كما قال عبداللّه بن عبّاس: «ما كنّا نشكّ وأهل البيت متوافرون أنّ الحسين بن عليّ يُقتل بالطفّ»[٥].

وعنه: «إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلا ولم يزيدوا رجلا، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم»[٦].

ورابعةً: لمّا وجّه مسلماً إلى أهل الكوفة، قال له: «وسيقضي اللّه من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أنْ أكون أنا وأنت في درجة الشهداء»[٧].

بل لقد علم بذلك الأباعد أيضاً..

فقد أخرج ابن سعد، بإسناده عن العربان بن الهيثم: «كان أبي يتبدّى فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنّا لا نبدو إلاّ وجدنا رجلا من بني أسد هناك، فقال له أبي: أراك ملازماً هذا المكان؟!

قال: بلغني أنّ حسيناً يقتل ها هنا; فأنا أخرج لعلّي أُصادفه فأُقتل معه.

فلمّا قُتل الحسين قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدي في مَن قتل؟

فأتينا المعركة فطوّفنا، فإذا الأسدي مقتول»[٨].

وعن عبداللّه بن شريك العامري: «كنت أسمع أصحاب عليّ ـ إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد ـ يقولون: هذا قاتل الحسين بن عليّ، وذلك قبل أن يقتل بزمان»[٩].

بل حتّى النساء في البيوت بلغهنّ الخبر، فمثلا..

لمّا عزم الإمام عليه السلام على الخروج من مكّة نحو العراق: «كتبت إليه عمرة بنت عبدالرحمن تعظّم عليه ما يريد أنْ يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنّه إنْ لم يفعل إنّما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لسمعت عائشة أنّها تقول: إنّها سمعت رسول اللّه صلّى

اللّه عليه وسلم يقول: يُقتل الحسين بأرض بابل.

---

(٤) انظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٨، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦، بغية الطلب ٦ / ٢٦١١، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٣، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٩٧ ح ٤٨٢٦.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٤ / ٦٠.

(٧) الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٣٦.

(٨) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢١، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٩) انظر: الإرشاد ٢ / ١٣١ ـ ١٣٢، كشف الغمّة ٢ / ٩.

فلمّا قرأ كتابها قال: فلا بُدّ لي إذاً من مصرعي; ومضى»[١٠].

هذا بالنسبة إلى هذا الأمر باختصار، في ضوء كتب القوم ورواياتهم، وأمّا على أُصولنا وروايانا، فللبحث طور آخر ومجال آخر.

الأمر الثالث:

لقد تواترت الأخبار من طرق الفريقين في أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قد أخبر بأنّ الإمام الحسين سيقتل في العراق، ومن ذلك ما أخرجه أحمد أنّه قال: «دخل علَيَّ البيتَ ملَك لم يدخل علَيَّ قبلها، فقال لي: إنّ ابنك هذا ـ يعني حسيناً ـ مقتول; وإنْ شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها»[١١]، وقد نصّ الحافظ الهيثمي على أنّ «رجال هذا الحديث رجال الصحيح»[١٢].

وأخرج الطبراني بسند معتبر، أنّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كانت في يده تربة فقال: «أخبرني جبريل عليه السلام أنّ هذا ـ وأشار إلى الحسين ـ يُقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل عليه السلام: أرني تربة
الأرض التي يُقتل بها: فهذه تربتها»[١٣].

وكذلك الأخبار عن أمير المؤمنين عليه السلام، كقوله: «ليُقتلنَّ الحسين قتلا، وإنّي لأعرف التربة التي يُقتل فيها، قريباً من النهرين»[١٤].

قال الهيثمي: «رجاله ثقات»[١٥].

وتواترت الأخبار في أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أمر المسلمين بنصرة الإمام عليه السلام، ومن ذلك ما رواه جماعة من أكابر الحفّاظ بأسانيدهم عن أنس بن الحارث، أنّه قال:

«سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: إنّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرض يقال لها: كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره»[١٦].

لكنّ حال الإمام عليه السلام حال جدّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

الأمر الرابع:

---

(١٠) البداية والنهاية ٨ / ١٣١ حوادث سنة ٦٠ هـ

(١١) مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٢٩٤، وانظر: المعجم الكبير ـ للطبراني ـ ٣ / ١٠٩ ح ٢٨١٩ و ٢٨٢٠ و ج ٢٣ / ٢٨٩ ح ٦٣٧ و ص ٣٢٨ ح ٧٥٤، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧.

(١٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧.

(١٣) المعجم الكبير ٣ / ١٠٩ ـ ١١٠ ح ٢٨٢١.

(١٤) المعجم الكبير ٣ / ١١٠ ـ ١١١ ح ٢٨٢٤.

(١٥) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٠.

(١٦) تاريخ دمشق ١٤ / ٢٢٤ ح ٣٥٤٣، وانظر: التاريخ الكبير ـ للبخاري ـ ٢ / ٣٠ رقم ١٥٨٣، البداية والنهاية ٨ / ١٥٩، أُسد الغابة ١ / ١٤٦ رقم ٢٤٦، الإصابة ١ / ١٢١ رقم ٢٦٦، الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٥، كنز العمّال ١٢ / ١٢٦ ح ٣٤٣١٤، وغيرها.

إنّه إذا كان الإمام عليه السلام عارفاً بوظيفته وعالماً بمصيره، وكان المسلمون كلّهم مأمورين بنصرته... وهو يقول في رسالته إلى بني هاشم: «من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلّف لم يبلغ ـ أو: لم يدرك ـ الفتح»[17]...

فما معنى نهي من نهاه عن الخروج من الحجاز؟!

وأيّ معنى لقول ابن عمر للإمام عليه السلام: «إنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم خيّره اللّٰه بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنّكَ بضعةٌ منه ولا تعطاها ـ يعني الدنيا ـ»[18]؟!

أكان ابن عمر جاهلا بحقّ الإمام؟! أو كان انحيازه عن أهل البيت إلى هذه الدرجة من البعد والانحراف؟!

أمّا ابن عبّاس، فقد قال له الإمام أوّلا: «إنّك شيخ قد كبرت»، ثمّ قال: «لأنْ أُقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ أن تستحلّ بي ـ يعني مكّة ـ »[19]،

فاستسلم ابن عبّاس وسكت.

وسنذكر كلمات أُخرى للإمام عليه السلام قالها لدى خروجه من مكّة نحو العراق.

هذا، وسيقع بحثنا في فصول:

---

(١٧) بصائر الدرجات: ٥٠١ ـ ٥٠٢ ح ٥، كامل الزيارات: ٧٥ ب ٢٣ ح ١٥، وعنهما في: بحار الأنوار ٤٥ / ٨٤ ـ ٨٥ ح ١٣ و ص ٨٧ ح ٢٣.

(١٨) انظر: أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٥، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٥، تاريخ دمشق ١٤ / ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٦، بغية الطلب ٦ / ٢٦٠٨.

(١٩) انظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٨، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١١، بغية الطلب ٦ / ٢٦١١.

الفصل الأوّل

في الكتب والرسل

قال ابن كثير[٢٠]: «قالوا: لمّا بايع الناس معاوية ليزيد، كان حسين ممّن لم يبايع له، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه، يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كلّ ذلك يأبى عليهم، فقدم منهم قوم...».

يفيد هذا الخبر:

١ ـ إنّ المكاتبة كانت في زمان حكومة معاوية.

٢ ـ وكانت لمّا بايع الناس معاوية ليزيد، والإمام ممّن لم يبايع..

٣ ـ ولم تكن مرّةً واحدة، بل كانوا «يكتبون» إليه[٢١]...

٤ ـ ولم يكتفوا بالكتابة، بل أرسلوا من قبلهم قوماً إلى المدينة ليرضوه عليه السلام بالخروج إليهم..

٥ ـ ووسّطوا محمّد بن الحنفيّة أيضاً..

فماذا قال الإمام عليه السلام؟

قال: «إنّ القوم إنّما يريدون أن يأكلوا بنا، ويستطيلوا بنا، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا»[٢٢].

وماذا كتب إليهم؟

كتب إليهم: «فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى واحترسوا... ما دام ابن هند حيّاً...»[٢٣].

كتب أهل الكوفة إلى مكّة

قال الشيخ المفيد: «وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته، وما كان من ابن الزبير في ذلك، وخروجهما إلى مكّة، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صُرَد، فذكروا هلاك معاوية، فحمدوا الله عليه، فقال سليمان: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبَّضَ[٢٤] على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فأعلموه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه.

---

(٢٠) البداية والنهاية ٨ / ١٢٩، وقد تقدّم في الصفحة ١٤٧.

(٢١) انظر كذلك: أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٠، تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٧، البداية والنهاية ٨ / ١٢١ و ١٢٧.

(٢٢) البداية والنهاية ٨ / ١٢٩، وانظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٢، بغية الطلب ٦ / ٢٦٠٦، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٤.

(٢٣) انظر: أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٦، الأخبار الطوال: ٢٢٢.

(٢٤) تقبَّضَ: زَواه، وقَبَضْتُ الشيءَ تقبيضاً: جَمَعْتُه وزَوَيْتُه; انظر مادّة «قبض» في: لسان العرب ١١ / ١٣، تاج العروس ١٠ / ١٣٤.

قال: فكتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ عليهما السلام، من: سليمان بن صُرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة..

سلامٌ عليك، فإنّا نحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعدُ، فالحمد لله الذي قصمَ عدوَّكَ الجبّار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمّة فابتزَّها أمرها، وغصبها فيئَها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ.

والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نُجمِّعُ معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نُلحقه بالشام إن شاء الله.

ثمّ سرّحوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمدانيّ وعبدالله ابن وال، وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعَين، حتّى قدما على الحسين

عليه السلام بمكّة، لعشر مضينَ من شهر رمضان.

ولبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيسَ بن مسهر الصيداويّ وعبدالرحمن بن عبدالله الأرحبيّ وعمارة بن عبد السلوليّ إلى الحسين عليه السلام، ومعهم نحوٌ من مئة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

ثمّ لبثوا يومين آخرين، وسرّحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعيّ وسعيد بن عبدالله الحنفيّ، وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين.

أمّا بعد، فحيَّ هلا، فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل; والسلام.

وكتب شبث بن ربعيّ وحجّارُ بن أبجرَ ويزيدُ بن الحارث ابن رُوَيْم وعروةُ بن قيس[٢٥] وعمرو بن الحجّاج الزبيديّ ومحمّد بن

عمرو التميمي[٢٦]:

---

(٢٥) كذا في المصدر، والصحيح: عزرة بن قيس اليحمدي الأزدي البصري، وقيل: الأحمسي البجلي.

انظر: الجرح والتعديل ٧ / ٢١ رقم ١٠٩، ميزان الاعتدال ٥ / ٨٣ رقم ٥٦٢٢، لسان الميزان ٤ / ١٦٦ رقم ٤٠٥، تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٨، البداية والنهاية ٨ / ١٤٢ و ١٤٣.

أمّا بعد، فقد اخضرَّ الجَناب، وأينعت الثمار، فإذا شئتَ فأقدمْ على جُند لك مجنَّد; والسلام.

وتلاقت الرُسُلُ كلّها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرُسُلَ عن الناسِ، ثمّ كتبَ مع هانئ بن هانئ وسعيد بن عبدالله، وكانا آخر الرُّسُلِ:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين.

أمّا بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قَدِما علَيَّ بكتبكم، وكانا آخرَ من قدم علَيَّ من رسلكم، وقد فهمت كلَّ الذي اقتصصتم وذكرتم; ومقالة جُلّكم: أنّه ليسَ علينا إمامٌ فأقبلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقِّ.

وإنّي باعثٌ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليَّ أنّه قد اجتمع رأيُ مَلَئِكم وذوى الحجا والفضل منكم على مثل ما

قدمتْ به رُسُلُكم وقرأتُ في كتبكم، أقدِم عليكم وشيكاً إن شاءَ اللهُ.

فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائمُ بالقسطِ، الدائنُ بدين الحقِّ، الحابسُ نفسه على ذات الله; والسلام»[٢٧].

* * *

---

(٢٦) كذا في المصدر، والصحيح: محمّد بن عمير التميمي، كان له شرف وقدر بالكوفة، وولي أذربيجان.

انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٨، جمهرة أنساب العرب: ٢٣٢ و ٢٣٣، لسان الميزان ٥ / ٣٣٠ رقم ١٠٩٤.

(٢٧) الإرشاد ٢ / ٣٦ ـ ٣٩.

وانظر عن كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة وما قاله لمسلم ممّا يدلّ على عدم وثوقه بأهل الكوفة: أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٠ ـ ٣٧١، تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨، المنتظم ٤ / ١٤٢، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤، الأخبار الطوال: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، مقاتل الطالبيّين: ٩٩، تهذيب الكمال ٤ / ٤٨٧، الإصابة ٢ / ٧٨، الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٣٥ ـ ٣٦، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٥ ـ ٣٨٦، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٦ ـ ٢٧، مروج الذهب ٣ / ٥٤، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٢٨١ ـ ٢٨٤.

الفصلُ الثاني

في إرسال مسلم بن عقيل

إلى الكوفة

ودعا الحسين بن عليّ عليهما السلام مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداويّ وعمارة بن عبد السلوليّ وعبدالرحمن بن عبدالله الأرحبي، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإنْ رأى الناسَ مجتمعين مستوسقين عجّلَ إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، فنزل في دار المختار بن أبي عبيد.

وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلّما اجتمع إليه منهم جماعةٌ قرأ عليهم كتاب الحسين بن عليّ عليهما السلام وهم يبكون.

وبايعه الناس.. حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، وقيل: بل بايعه أكثر من ثلاثين ألفاً.

فكتب مسلم رحمه الله إلى الحسين عليه السلام يُخبره ببيعة القوم ويأمره بالقدوم...

قال المؤرّخون: ولكنّ ابن زياد دهمهم، فألقى القبض على الوجوه والرؤساء وزجَّهم في السجون، من أمثال المختار وسليمان بن صرد الخزاعي، وتفرّق العامّة، وبقي مسلم وحيداً، فلاذ بهاني بن عروة، فرحّب به، وجعل يتمارض مجاملةً مع ابن زياد في عدم إجابته لدعوته، حتّى تمكّن منه بإحضاره إلى قصر الإمارة، فلمّا حضر لديه غدر به ابن زياد وأودعه السجن.

فأمسى مسلم حائراً بنفسه، فصادف في طريقه امرأةً من كندة اسمها طوعة، فاستسقاها ماءً، فجاءت المرأة بالماء وشرب ثمّ وقف، فعرفت المرأة فيه الغربة والوحشة، فدعته إلى بيتها لتخفيه حتّى الصباح، حتّى جاء ابنها، فسألها عن السبب في كثرة دخولها البيت، فأخبرته بأمر مسلم بعد أنْ أخذت منه العهود على أنْ لا يفشي هذا السرّ، لكنّه غدا إلى ابن الأشعث وأخبره بذلك، فأبلغ ابن زياد، فأرسل الجند للقبض عليه.

وكان مسلم يتلو القرآن دبر صلاته، إذ سمع وقع حوافر الخيل وهمهمة الفرسان، فأوحت إليه نفسه بدنو الأجل، فبرز ليث بني عقيل من عرينه مستقبلا باب الدار والعسكر وعليهم محمّد بن الأشعث، وانتهى أمر المتقابلين إلى النزال، ومسلم راجل وهم فرسان، لكنّ فحل بني عقيل شدّ عليهم شدّ الضرغام على الأنعام، وهم يولّونه الأدبار ويستنجدون بالحاميات، وقذاءة النار ترمى عليه من السطوح، وهو لا يزال يضرب فيهم بسيفه ويقول في خلال ذلك متحمّساً:

أقسمتُ لا أُقتل إلاّ حرّا *** وإنْ رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا

ويجعل الباردَ سُخناً مُرّا *** رُدَّ شُعاعُ الشمسِ فاستقرّا

كلُّ امرئ يوماً ملاق شرّا *** أخافُ أن أُكذَبَ أو أُغَرّا

ثمّ اختلف هو وبكير بن حمران الأحمري بضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى ونصلت لها ثنيّتان، فضربه مسلم ضربة منكرة في رأسه، وثنّى بأُخرى على حبل عاتقه كادت تأتي على جوفه، فاستنقذه أصحابه، وعاد مسلم ينشد شعره.

اضطُرّ ابنُ الأشعث إلى وعده مسلماً بالأمان إذا ألقى سلاحه، فقال: لا أمان لكم.

وبعدما كرّروا عليه، رأى التسليم فريضة، محافظة للنفس وحقناً للدماء، فسلّم إليه نفسه وسلاحه، ثمّ استولوا عليه، فعرف أنّه مخدوع، فندم ولات حين مندم.

ثمّ أقبل محمّد بن الأشعث بمسلم إلى باب القصر، فاستأذن فأُذن له، فأخبر عبيدالله بخبر مسلم وضرب بكير إيّاه.

فقال: بعداً له.

فأخبره بأمانه، فقال: ما أرسلناك لتؤمنه، إنّما أرسلناك لتأتي به; فسكت.

وانتهى مسلم إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر أُناس ينتظرون الإذن، منهم: عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث ، ومسلم بن عمرو الباهلي، وكثير بن شهاب، فاستسقى مسلم رضي الله عنه الماء وقد رأى قلّة موضوعة على الباب، فقال مسلم

الباهلي: أتراها ما أبردها، لا والله لا تذوق منها قطرة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم.

فقال له: ويحك من أنت؟!

قال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال: لأُمّك الثكل، ما أجفاك وما أفظّك وأقسى قلبك وأغلظك! أنت يا ابن باهلة أَوْلى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي.

ثمّ تساند وجلس إلى الحائط، فبعث عمرو بن حريث مولاه سليمان فجاءه بقلّة، وبعث عمارة غلامه قيساً فجاءه بقلّة عليها منديل، فصبّ له ماءً بقدح، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه، حتّى إذا كانت الثالثة سقطت ثنيّتاه في القدح فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لي لشربته.

ولمّا أدخلوه على عبيدالله لم يسلّم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلّم على الأمير؟!

فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟!

فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلنّ.

قال: فدعني أُوصي بعض قومي.

قال: افعل.

فنظر مسلم رضي الله عنه إلى جلساء عبيدالله وفيهم عمر ابن سعد بن أبي وقّاص، فقال: يا عمر! إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ.

فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيدالله: لِم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟!

فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال له: إنّ عليَّ بالكوفة سبعمئة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عنّي، وإذا قتلت فاستوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، فإنّي كتبت إليه وأعلمته أنّ الناس معه، ولا أراه إلاّ مقبلا ومعه تسعون إنساناً بين رجل وامرأة وطفل.

فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ما قال لي؟!

فقال له ابن زياد ـ على ما رواه في «العقد الفريد»[٢٨] ـ : اكتم على ابن عمّك!

قال: هو أعظم من ذلك، إنّه ذكر كذا وكذا.

فقال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد ائتمن الخائن; أمّا ماله فهو له، ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جثّته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صُنع بها، وأمّا حسين فإنْ هو لم يُرِدْنا لم نُرِدْه.

ثمّ قال لعمر بن سعد: أمَا واللّه إذ دللت عليه لا يقاتله أحد غيرك!

ثمّ أقبل ابن زياد على مسلم يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلا، ومسلم لا يكلّمه، ثمّ قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر وادعوا بُكيرَ بن حمران الأحمري الذي ضربه مسلم.

فصعدوا به وهو يكبّر ويستغفر اللّه ويصلّي على رسوله ويقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذَبونا وخذلونا.

فأُشرف به على موضع الحذّائين، فضرب عنقه بكير بن حمران، ثمّ أتبع رأسه جسده من أعلى القصر.

وكان مقتل مسلم رضي اللّه عنه يوم الأربعاء في اليوم الثامن من ذي الحجّة ـ يوم التروية ـ وهو اليوم الذي خرج فيه الحسين عليه السلام يقصد الكوفة ملبّياً دعوتها.

وجاء الحسين عليه السلام هذا النبأ المفجع وهو بزَرُود.

وأمّا هاني بن عروة، فقد كان محبوساً عند ابن زياد، فأُخرج من الحبس ـ بعد قتل مسلم ـ وجيء به إلى السوق الذي يباع فيه الغنم مكتوفاً، فجعل ينادي: وا مذحجاه! ولا مذحج لي اليوم، وا مذحجاه!
وأين منّي مذحج؟!

فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره، جذب يده فنزعها من الكتاف ثمّ قال: أمَا من عصا أو سكّين أو حجر أو عظم يجاهد به رجل عن نفسه؟!

فتواثبوا عليه وشدّوه وثاقاً ثمّ قيل له: أُمدد عنقك!

فقال: ما أنا بها سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي.

---

(٢٨) العقد الفريد ٣ / ٣٦٥.

فضربه مولىً لعبيد الله بن زياد ـ تركيٌّ، يقال له: رشيد ـ بالسيف فلم يصنع سيفه شيئاً.

فقال هاني: إلى الله المعاد، اللّهمّ إلى رحمتك ورضوانك.

ثمّ ضربه ضربة أُخرى فقتله، وكان ذلك يوم التاسع من ذي الحجّة بعد قتل مسلم بيوم واحد، وكان له من العمر سبع وتسعون سنة.

وأمر ابن زياد فسُحب جثتاهما من أرجلهما بالأسواق والناس ينظرون إليهما، يا له منظراً فظيعاً وعبرة للمعتبر!

ثمّ إنّ ابن زياد بعث برأسَي مسلم وهاني إلى يزيد، مع هاني بن أبي حيّة الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، واستوهب جثّتيهما ودفنوهما عند القصر حيث موضعهما اليوم، وقبراهما كلّ على حدة.

قال عبدالله بن الزبير الأسدي يؤبّنهما من أبيات:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري *** إلى هانئ في السوق وابنِ عقيلِ

إلى بطل قد هشّمَ السيفُ وجهَه *** وآخرَ يهوي من طمار قتيلِ[٢٩]

* * *

(٢٩) انظر: الإرشاد ٢ / ٣٩ ـ ٦٥، تاريخ الطبري: ٣ / ٢٧٨ ـ ٢٩٣، الأخبار الطوال: ٢٣١ ـ ٢٤٢، الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٨٦ ـ ٣٩٨، البداية والنهاية: ٨ / ١٢٢ ـ ١٢٦، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٢٨٥ ـ ٣٠٨.

الفصل الثالث

الإعلان عن

العزم على الخروج من مكّة

وظلّ الإمام عليه السلام مدّة بقائه في مكّة يعلن عن عزمه على الخروج إلى العراق، ويخبر بذلك أهل مكّة والقادمين إليها، ويؤكّد أنّه إذا بقي بها قُتل واستحلّت بقتله:

«لأنْ أُقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن تستحلّ بي ـ يعني مكّة ـ »[٣٠].

«واللّه لأنْ أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إلي من أن أُقتل داخلا منها بشبر، وأيم اللّه لو كنتُ في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا فيَّ حاجتهم، واللّه ليعتدنّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت»[٣١].

«واللّه لا يَدَعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي»[٣٢].

«إنّي رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول اللّه وأمرني بأمر أنا ماض له، ولست بمخبر بها أحداً حتّى أُلاقي عملي»[٣٣].

«لا بُدّ لي إذاً من مصرعي»[٣٤].

«مهما يقضِ اللّه من أمر يكن»[٣٥].

ولمّا سئل عن سبب العجلة في الخروج من مكّة، قال:

«لو لم أعجل لأُخِذت»[٣٦].

«خفت أنّه يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت»[٣٧].

---

(٣٠) تاريخ الإسلام: ١٠٦ حوادث سنة ٦١ هـ ـ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام؛ وقال محقّقه: «أخرجه الطبراني... ورجاله رجال الصحيح»، المعجم الكبير ٣ / ١٢٠ ح ٢٨٥٩، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٨، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦، الفتوح ٥ / ٧٢، بغية الطلب ٦ / ٢٦١١، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٠، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٣، البداية والنهاية ٨ / ١٣٢، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٢، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤٢، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣١٤، وغيرها.

(٣١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦، وانظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٨، أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٥، بغية الطلب ٦ / ٢٦١١، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٠، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٣ و ٣٠٦، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥، الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي ـ : ١٨٦.

(٣٢) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٠، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٦، وانظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٣١، بغية الطلب ٦ / ٢٦١٥ ـ ٢٦١٦، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠١.

(٣٣) تاريخ الإسلام ٢ / ٣٦٣، وانظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٦، بغية الطلب ٦ / ٢٦١٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٢، أُسد الغابة ١ / ٤٩٨، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩١، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤١، البداية والنهاية ٨ / ١٣١ و ١٣٤.

(٣٤) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٦، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٧، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤٠، البداية والنهاية ٨ / ١٣١، بغية الطلب ٦ / ٢٦٠٩.

(٣٥) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦/ ٤٢٦، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٩٩، الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي ـ : ١٨٥.

(٣٦) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٧، البداية والنهاية ٨ / ١٣٤، الإرشاد ٢ / ٦٧، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٦٥ ب ٣٧.

(٣٧) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٨.

ولمّا ذُكّر بما فعله أهل الكوفة بأبيه وأخيه، قال:

«إنّه ليس يخفى علَيَّ ما قلتَ وما رأيت، ولكنّ اللّٰه لا يُغلب على أمره»[٣٨].

«لأنْ أُقتل بيني وبين الحرم باع أحبّ إليَّ من أنْ أُقتل وبيني وبينه شبر، ولئن أُقتل بالطفّ أحبّ إليَّ من أن أُقتل بالحرم»[٣٩].

«لأنْ أُدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أنْ أُدفن بفناء الكعبة»[٤٠].

وفي هذه الأثناء جاءته الرسل، وكتاب سليمان بن صرد وجماعته، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل... كما تقدّم.

وعبداللّٰه بن الزبير يترصّد وينتظر خروجه... وقد كان ينصح

الإمام بذلك، وقال له: «أمَا إنّه لو كان لي بها شيعة مثل شيعتك ما عدلت عنهم»[٤١].

ولمّا ودّع عبداللّٰه بن عبّاس الإمام عليه السلام قال له: «أقررتَ عين ابن الزبير».

ثمّ لمّا خرج ابن عبّاس ورأى ابن الزبير قال له: «يا ابن الزبير! قد أتى ما أحببت، قرّت عينك، هذا أبو عبداللّٰه يخرج ويتركك والحجاز.

يا لك من قنبرة بمعمر *** خَلا لَكِ الجوُّ فبيضي واصفري

ونقّري ما شئتِ أن تنقّري[٤٢]

* * *

(٣٨) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٤، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٤، البداية والنهاية ٨ / ١٣٧.

(٣٩) كامل الزيارات: ٧٢ ب ٢٣ ح ٤.

(٤٠) كامل الزيارات: ٧٣ ب ٢٣ ح ٦.

(٤١) انظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٤، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٥، الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي ـ : ١٨٦.

(٤٢) انظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٨، أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٤، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٧، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤٢ ـ ١٤٣، البداية والنهاية ٨ / ١٣٢، بغية الطلب ٦ / ٢٦١١، الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي ـ : ١٨٧.

الفصل الرابع

في مجمل

الوقائع في الطريق

ونتعرّض في ما يلي لأهمّ الوقائع التي مرّ بها الإمام عليه السلام في طريقه من مكّة إلى العراق، كما ذكرها الرواة والمؤرّخون:

أخذه العِير في التنعيم

قالوا: خرج الإمام عليه السلام من مكّة يوم التروية، وسار هو وأصحابه فمرّوا بالتنعيم، فرأى بها عِيراً قد أقبلت من اليمن بعث بها بَحير بن رَيْسان من اليمن إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العِير الوَرْس والحُلل، فأخذها الحسين وقال لأصحاب الإبل: مَنْ أحبّ منكم أن يمضي معنا إلى العراق أَوْفَينا كِراءه وأحسنّا صُحْبته، ومَنْ أحبّ أن يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكِراء; فمَن فارق منهم أعطاه حقّه، ومن سار معه أعطاه كراءه وكساه[٤٣].

الإمام والفرزدق في الصفاح

ثمّ سار، فلمّا انتهى إلى الصفاح.. قال ابن الأثير: لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: أعطاك اللّهُ سُؤلك وأمَلك في ما تحبّ.

فقال له الحسين: بيّن لي خبر الناس خلفك.

قال: الخبيرَ سألتَ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بني أُميّة، والقضاء ينزل من السماء، واللّه يفعل ما يشاء.

فقال الحسين: صدقتَ، للّه الأمرُ، يفعل ما يشاء، وكلّ يوم ربّنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد اللّه على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتدِ مَنْ كان الحقّ نيّته والتقوى سريرته[٤٤].

وصول كتاب عبداللّه بن جعفر

وذكروا وصول كتاب عبداللّه بن جعفر إلى الإمام عليه السلام; فروى الطبري عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال:

لمّا خرجنا من مكّة، كتب عبداللّه بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن عليّ مع ابنيه عون ومحمّد:

أمّا بعد، فإنّي أسألك باللّه لمّا انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفق عليك من الوجه الذي توجّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنّي في أثر الكتاب; والسلام.

---

(٤٣) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٦، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠١.

(٤٤) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠١ ـ ٤٠٢.

قال: وقام عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه،

وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ إلى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وائتني به حتّى أختمه.

فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب، ثمّ أتى به عمرو بن سعيد فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنّه أحرى أن تطمئنّ نفسه إليه، ويعلم أنّه الجدّ منك; ففعل، وكان عمرو بن سعيد عاملَ يزيد بن معاوية على مكّة.

قال: فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أَقْرَأْنَاه الكتابَ، وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: إنّي رأيت رؤيا فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأُمرت فيها بأمر أنا ماض له، علَيَّ كان أَوْ لي.

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدّثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتّى ألقى ربّي[٤٥].

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ.

أمّا بعد، فإنّي أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لِما يرشدك.

بلغني أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإنّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإنّي أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله ابن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبِل إليّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار لك، الله علَيَّ بذلك شهيد وكفيلٌ، ومُراع ووكيل، والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين:

أمّا بعد، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجل وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمانَه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبرّي، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة; والسلام»[٤٦].

وقال الخوارزمي: «لقيه رجلٌ من بني أسد يقال له: بشر ابن غالب،

فقال له الحسين: ممّن الرجل؟

---

(٤٥) أورده ابن كثير ـ كذلك ـ في البداية والنهاية ٨ / ١٣٤.

(٤٦) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٧، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٢.

قال: من بني أسد.

قال: فمن أين أقبلت؟

قال: من العراق.

قال: فكيف خلّفت أهل العراق؟

فقال: يا ابن رسول اللّٰه! خلّفت القلوب معك، والسيوف مع بني أُميّة.

فقال له الحسين: صدقت يا أخا بني أسد، إنّ اللّٰه تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

قال له الأسدي: يا ابن رسول اللّٰه! أخبرني عن قول اللّٰه تعالى: (**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاس بِإِمَامِهِمْ**)[٤٧]؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم يا أخا بني أسد، هما إمامان: إمام هدىً دعا إلى هدىً، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنّة، وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار»[٤٨].

كتاب الإمام إلى الكوفة من الحاجر

● قال ابن الأثير: فلمّا بلغ الحسين الحاجر، كتب إلى أهل الكوفة مع قيس بن مُسْهِر الصيداوي يعرّفهم قدومَه، ويأمرهم بالجدّ في أمرهم، فلمّا انتهى قيسٌ إلى القادسية أخذه الحصين فبعث به إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: اصعد القصر فسبّ الكذّابَ ابنَ الكذّاب الحسينَ بن عليّ!

فصعد قيسٌ فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ هذا الحسينَ بن عليّ خيرُ خلق اللّٰه، ابنُ فاطمة بنت رسول اللّٰه، صلّى اللّٰه عليه وسلّم، أنا رسوله إليكم، وقد فارقتُه بالحاجر، فأجيبوه; ثمّ لعن ابنَ زياد وأباه، واستغفر لعليّ.

فأمر به ابن زياد فرُمي من أعلى القصر، فتقطّع فمات[٤٩].

● وقال الشيخ المفيد: «بعث قيس بن مسهر الصيداوي ـ ويقال: بل بعث أخاه من الرضاعة عبداللّٰه بن يقطر ـ إلى الكوفة، ولم يكن عليه السلام علم بخبر مسلم بن عقيل رحمة اللّٰه عليهما، وكتب معه إليهم:

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم; من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم اللّٰه الذي لا إله إلاّ

هو; أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقّنا، فسألت اللّٰه أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم، وجِدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه، والسلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته.

---

(٤٧) سورة الإسراء ١٧: ٧١.

(٤٨) مقتل الحسين ١ / ٣١٨.

(٤٩) انظر: الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٢.

وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة أنّ لك ها هنا مئة ألف سيف ولا تتأخّر، فأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام، حتّى إذا انتهى إلى القادسية، أخذه الحُصين بن نمير فبعث به إلى عبيدالله بن زياد، فقال له عبيدالله: اصعد فسبّ الكذّاب الحسين بن عليّ!

فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، فأجيبوه! ثمّ لعن عبيدالله بن زياد وأباه، واستغفر لعليّ بن أبي طالب وصلّى عليه.

فأمر عبيدالله أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطّع.

وروي أنّه وقع إلى الأرض مكتوفاً فتكسّرت عظامه وبقي به رمق، فجاء رجل يقال له: عبدالملك بن عمير اللخمي، فذبحه، فقيل له في

ذلك وعِيب عليه، فقال: أردت أن أُريحه»[٥٠].

بين الإمام وعبدالله بن مطيع في ماء

قال ابن الأثير: «ثمّ أقبل الحسين يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدُ الله بن مُطيع، فلمّا رآه قام إليه فقال: بأبي وأُمّي يا ابنَ رسول الله! ما أقدمك؟!

فاحتمله فأنزله، فأخبره الحسينُ، فقال له عبدالله: أُذكِّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُنْتهك، أنشدك الله في حرمة قُريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبتَ ما في أيدي بني أُميّة ليقتلُنّك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنّها لحرمة الإسلام [تُنْتَهك] وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأتِ الكوفة، ولا تُعرّض نفسك لبني أُميّة!

فأبى إلاّ أن يمضي»[٥١].

ما سمعته زينب بنت عليّ في الخزيميّة

قال الخوارزمي: «لمّا نزل الحسين عليه السلام بالخزيميّة، أقام بها يوماً وليلة، فلمّا أصبح جاءت إليه أُخته زينب بنت عليّ فقالت له: يا

أخي! ألا أُخبرك بشيء سمعته البارحة؟

فقال لها: وما ذاك يا أُختاه؟

فقالت: إنّي خرجت البارحة في بعض الليل لقضاء حاجة، فسمعت هاتفاً يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدِ *** فمن يبكي على الشهداء بعدي

على قوم تسوقهم المنايا *** بمقدار إلى إنجاز وعدِ

فقال لها الحسين: يا أُختاه! كلُّ ما قضي فهو كائن»[٥٢].

---

(٥٠) الإرشاد ٢ / ٧٠ ـ ٧١.

(٥١) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٢ ـ ٤٠٣، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٢، الإرشاد ٢ / ٧١ ـ ٧٢.

بين الإمام وزهير بن القين في زَرُود

قال الطبري : «فأقبل الحسين حتّى كان بالماء فوق زَرُود»[٥٣].

ثمّ روى الطبري عن رجل من بني فزارة، قال: «لمّا كان زمن الحجّاج بن يوسف كنّا في دار الحارث بن أبي ربيعة، التي في التمّارين، التي أُقطعت بعدُ زهيرَ بن القين، من بني عمرو بن يشكر، من بجيلة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكنّا مختبئين فيها، قال: فقلت للفزاري: حدّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن عليّ.

قال: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة نساير

الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتّى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتّى سلّم، ثمّ دخل فقال: يا زهير بن القين! إنّ أبا عبدالله الحسين ابن عليّ بعثني إليك لتأتيه.

قال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتّى كأنّنا على رؤوسنا الطير.

قال أبو محنف: فحدّثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟! سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه ثمّ انصرفت؟!

قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقُدِّم وحُمل إلى الحسين، ثمّ قال لامرأته: أنت طالق، إلحقي بأهلك! فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك من سببي إلاّ خير.

ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فإنّه آخر العهد، إنّي سأُحدّثكم حديثاً; غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم.

فأمّا أنا فإنّي أستودعكم الله.

قال: ثمّ والله ما زال في أوّل القوم حتّى قُتل»[٥٤].

وقال السيّد ابن طاووس: «قال زهير: قد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي وأقيه بنفسي.

ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وودّعته وبكت وقالت: كان الله لك عوناً ومعيناً، خارَ الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين»[٥٥].

---

(٥٢) مقتل الحسين ١ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٥٣) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢.

(٥٤) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢.

(٥٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٣.

واختصر ابن الأثير الخبر فقال:

وكان زُهَير بن القَين البَجَليّ قد حجّ، وكان عثمانيّاً، فلمّا عاد جمعهما الطريقُ، وكان يساير الحسين من مكّة إلاّ أنّه لا ينزل معه، فاستدعاه يوماً الحسين، فشقّ عليه ذلك ثمّ أجابه على كره، فلمّا عاد من عنده نقل ثَقَله إلى ثَقَل الحسين ثمّ قال لأصحابه: مَنْ أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فإنّه آخر العهد، وسأُحدّثكم حديثاً; غزونا بَلَنْجَر ففُتح علينا وأصبنا غنائم، ففرحنا، وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم; فأمّا أنا فأستودعكم اللّه!

ثمّ طلّق زوجته وقال لها: إلحقي بأهلك! فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك في سببي إلاّ خير.

ولزم الحسين حتّى قُتل معه[٥٦].

وصول خبر مقتل مسلم وهاني إلى الإمام بالثعلبيّة

وروى علماء الفريقين، عن عبداللّه بن سليمان والمنذر ابن المشمعل الأسديّين، أنّهما لقيا في زَرُود رجلا من بني أسد قادماً من الكوفة، فاستخبراه، فأخبرهما باستشهاد سيّدنا مسلم بن عقيل وهاني بن عروة[٥٧].

فرووا عن الأسديّين أنّهما قالا: «فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين صلوات اللّه عليه، فسايرناه حتّى نزل الثعلبية ممسياً، فجئناه حين نزل، فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك اللّه، إنّ عندنا خبراً، إن شئت حدّثناك علانيةً وإن شئت سرّاً.

فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثمّ قال: ما دون هؤلاء سرّ.

فقلنا له: رأيتَ الراكب الذي استقبلته عشي أمس؟

قال: نعم، وقد أردتُ مسألته.

فقلنا: قد واللّه استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وعقل، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم وهاني، ورآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما.

فقال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، رحمة اللّه عليهما; يردّد ذلك مراراً.

فقلنا له: ننشدك اللّه في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك.

فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون؟ فقد قُتل مسلم!

فقالوا: واللّه لا نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق.

فأقبل علينا الحسين وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

---

(٥٦) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٣.

(٥٧) الإرشاد ٢ / ٧٤، مقتل الحسين ـ للخولرزمي ـ ١ / ٣٠٩.

فعلمنا أنّه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خارَ اللّه لك.

فقال: رحمكما اللّه.

فقال له أصحابه: إنّك واللّه ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

فسكت، ثمّ انتظر حتّى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثِروا

من الماء.

فاستقوا وأكثروا، ثمّ ارتحلوا»[٥٨].

شعرٌ للإمام عليه السلام في الشقوق

قال ابن شهرآشوب: فلمّا نزل شقوق، أتاه رجلٌ، فسأله عن العراق، فأخبره بحاله، فقال: إنّ الأمر للّه يفعل ما يشاء، وربّنا تبارك كلّ يوم هو في شأن; فإن نزل القضاء فالحمد للّه على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من الحقّ نيّته.

ثمّ أنشد:

فإنْ تكن الدنيا تُعدّ نفيسةً *** فدارُ ثوابِ اللّه أعلى وأنبلُ

وإنْ تكن الأموالُ للترك جمعُها *** فما بالُ متروك به الحرُّ يبخلُ

وإنْ تكن الأرزاقُ قسماً مقدّراً *** فقلّةُ حرصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ

وإنْ تكن الأبدانُ للموت أُنشئت *** فقتلُ امرئ بالسيفِ في اللّه أفضلُ

عليكم سلام اللّه يا آلَ أحمد *** فإنّي أراني عنكم سوف أرحلُ[٥٩]

وصول خبر مقتل عبداللّه بن يقطر في زبالة

قالوا: حتّى انتهى عليه السلام إلى زبالة، فأتاه خبر مقتل أخيه من

الرضاعة عبداللّه بن يقطر، وكان سرّحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق، فأخذه خيل الحصين... وقد تقدّم خبر مقتله سابقاً[٦٠].

الإذن بالانصراف

قالوا: فلمّا أتى الحسينَ خبرُ قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل، أعلم الناسَ ذلك وقال: مَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذِمام.

فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالا، حتّى بقي في أصحابه الّذين جاؤوا معه من مكّة.

---

(٥٨) الإرشاد ٢ / ٧٤ ـ ٧٥.

(٥٩) مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٦٠) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٣، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٣; وقد تقدّم في الصفحات ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

وإنّما فعل ذلك لأنّه علم أنّ الأعراب ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهلِه، فأراد أن يعلموا علامَ يَقدِمون[٦١].

بين الإمام ورجل من العرب في بطن العقبة

قال ابن الأثير: «ثمّ سار حتّى نزل بطن العَقَبة، فلقيه رجل من العرب، فقال له: أنشدك اللّه لمّا انصرفتَ، فواللّه ما تُقدِم إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف، إنّ هؤلاء الّذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطّؤوا لك الأشياء فقدمتَ عليهم لكان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكرها فلا أرى لك أن تفعل.

فقال: إنّه لا يخفى علَيَّ ما ذكرتَ، ولكنّ اللّه عزّ وجلّ لا يُغْلَب على أمره.

ثمّ ارتحل منها»[٦٢].

وفصّل الشيخ المفيد الخبر في «الإرشاد»[٦٣].

رؤيا الإمام عليه السلام

وقد تقدّم الكلام عن رؤياه عليه السلام كلاباً تنهشه، أشدّها عليه كلب أبقع[٦٤].

بين الإمام والحرّ بن يزيد في ذي حسم

قالوا: وسار الإمام عليه السلام حتّى نزل شراف، فلمّا كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا ماءً كثيراً ثمّ ساروا منها، فلمّا انتصف النهار كبّر رجلٌ من أصحابه... فقال له: مِمَّ كبّرتَ؟

قال: رأيتُ النخل.

فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرض نخلة قطّ!

فقال الحسين: فما هو؟!

فقالا: لا نراه إلاّ هوادي الخيل.

فقال: وأنا أيضاً أراه ذلك.

وقال لهما: أمَا لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟!

فقالا: بلى، هذا ذو حُسُم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد.

---

(٦١) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٣.

(٦٢) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٤.

(٦٣) راجع: الإرشاد ٢ / ٧٦.

(٦٤) تقدّم في الصفحة ١٨١، وانظر: كامل الزيارات: ٧٥ ب ٢٣ ح ١٤.

فمال إليه، فما كان بأسرع من أن طلعت الخيل وعدلوا إليهم، فسبقهم الحسين إلى الجبل، فنزل، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحُرّ بن يزيد التميميّ ثمّ اليربوعي، فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في حرّ الظهيرة، فقال الحسين لأصحابه وفتيانه: اسقوا القوم، ورشّفوا الخيل ترشيفاً!

ففعلوا، وكان مجيء الحرّ من القادسيّة، أرسله الحُصَين بن نُمَير التميميّ في هذه الألف يستقبل الحسين، فلم يزل مواقفاً الحسين حتّى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين مؤذّنه بالأذان، فأذّن، وخرج الحسين إليهم فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّها معذرة إلى اللّه وإليكم، إنّي لم آتِكم حتّى أتتني

كتبكم ورسلكم أن أقدِمْ إلينا فليس لنا إمام، لعلّ اللّه أن يجعلنا بك على الهدى; فقد جئتُكم، فإن تُعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم أقدِم مصركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه.

فسكتوا، وقالوا للمؤذّن: أقمْ! فأقام، وقال الحسين للحُرّ: أتريد أن تصلّي أنت بأصحابك؟

فقال: بل صلِّ أنت ونصلّي بصلاتك.

فصلّى بهم الحسين، ثمّ دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه، ثمّ صلّى بهم الحسين العصر، ثمّ استقبلهم بوجهه فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس! فإنّكم إن تتّقوا اللّه وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى للّه، ونحن أهل البيت أَوْلى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقّنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفتُ عنكم.

فقال الحرّ: إنّا واللّه ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر.

فأخرج خرجَين مملوءين صحفاً فنثرها بين أيديهم.

فقال الحرّ: فإنّا لسنا من هؤلاء الّذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا أنّا إذا

نحن لقيناك أن لا نفارقك حتّى نُقْدمك الكوفة على عبيداللّه بن زياد.

فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك!

ثمّ أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا، فمنعهم الحرّ من ذلك، فقال له الحسين: ثكلتْك أُمّك! ما تريد؟!

قال له: أمَا واللّه لو غيرك من العرب يقولها [لي] ما تركت ذِكر أُمّه بالثكل كائناً مَنْ كان، ولكنّي واللّه ما لي إلى ذِكر أُمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما يُقدر عليه.

فقال له الحسين: ما تريد؟!

قال الحرّ: أُريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد.

قال الحسين: إذن واللّه لا أتبعك.

قال الحُرّ: إذن واللّه لا أدَعُك.

فترادّا الكلام، فقال له الحرّ: إنّي لم أُؤمر بقتالك، وإنّما أُمرت أن لا أُفارقك حتّى أُقدمك الكوفة، [فإذا أَبَيتَ] فخذْ طريقاً لا تُدْخلك الكوفة ولا تَرُدّك إلى المدينة، حتّى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد، فلعلّ اللّه أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أُبتلى بشيء من أمرك.

فتياسرَ عن طريق العُذَيْب والقادسيّة، والحرّ يسايره.

ثمّ إنّ الحسين خطبهم فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسُنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، يعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على اللّه أن يُدْخله مُدخَله.

ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام اللّه، وحرّموا حلاله، وأنا أحَقّ من غيري، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنّكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تُصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبَكم ضيّعتم، (**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ**)، وسيغني اللّه عنكم; والسلام.

فقال له الحُرّ: إنّي أُذكّرك اللّه في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلتَ لتُقْتَلنّ.

فقال له الحسين: أبالموت تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! وما أدري ما أقول لك؟! ولكنّي أقول كما قال أخو الأوْسيّ

لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: أين تذهب؟! فإنّك مقتول! فقال:

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتى *** إذا ما نوى خيراً وجاهَدَ مُسلما

وواسى رجالا صالحينَ بنَفسِهِ *** وخالَفَ مثْبوراً وفارَقَ مُجرِما

فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلَمْ *** كفى بك ذُلاًّ أن تعيشَ وتُرْغَما

فلمّا سمع ذلك الحُرّ تنحّى عنه، فكان يسير ناحيةً عنه(٦٥).

خطبة الإمام

ورووا أنّ الإمام عليه السلام قام خطيباً بذي حسم، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال:

«إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرّت جَذّاء فلم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء اللّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً.

---

(٦٥) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٧ ـ ٤٠٩، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٥ ـ ٣٠٧، الإرشاد ٢ / ٧٦ ـ ٨١.

فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تكلّمون أم أتكلّم؟!

قالوا: لا، بل تكلّم.

فحمد اللّٰه فأثنى عليه، ثمّ قال: قد سمعنا هَداك اللّٰه يا ابن رسول اللّٰه مقالتك، واللّٰه لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين إلاّ أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

قال: فدعا له الحسين، ثمّ قال له خيراً»[٦٦].

بين الإمام والطرمّاح وأصحابه في عذيب الهِجانات

فسار الإمام عليه السلام حتّى وصل عذيب الهجانات، كان بها هجائن النعمان ترعى هناك فنسب إليها، قال ابن الأثير:

فإذا هو بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له: الكامل، ومعهم دليلهم الطِّرِمّاح بن عديّ، فانتهوا إلى الحسين، فأقبل إليهم الحُرّ وقال: إنّ هؤلاء النفر من أهل الكوفة وأنا حابسهم أو رادّهم.

فقال الحسين: لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري، وهم بمنزلة مَن جاء معي، فإن تمّمتَ على ما كان بيني وبينك، وإلاّ ناجزتُك.

فكفّ الحُرّ عنهم، فقال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس خلفكم؟

فقال له مجمّع بن عبيداللّٰه العامريّ ـ وهو أحدهم ـ : أمّا أشراف الناس فقد أُعظِمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم، فهم أَلْبٌ واحدٌ عليك.

وأمّا سائر الناس بعدهم، فإنّ قلوبهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

وسألهم عن رسوله قيس بن مُسْهِر، فأخبروه بقتله وما كان منه، فترقرقت عيناه بالدموع ولم يملك دمعته، ثمّ قرأ: **(فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا)**[٦٧]; اللّهمّ اجعل لنا ولهم الجنّة، واجمعْ بيننا وبينهم في مستقرّ رحمتك، وغائب مذخور ثوابك.

وقال له الطرِمّاح بن عديّ: واللّٰه ما أرى معك كثيرَ أحد، ولو لم يقاتلك إلاّ هؤلاء الّذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، ولقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي جمعاً في صعيد واحد أكثر منه قطّ ليسيروا إليك، فأنشدك اللّٰه إن قدرتَ على أن لا تقدم إليهم شبراً فافعلْ.

فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك اللّٰه به حتّى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسِرْ حتّى أُنزلك جبلنا أجأ، فهو واللّٰه جبل امتنعنا به من ملوك غسّان وحِمْير والنعمان بن المنذر، ومن الأحمر والأبيض،

---

(٦٦) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٧.

(٦٧) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

واللّه ما إن دخل علينا ذُلّ قطّ، فأسيرُ معك حتّى أُنزلك [القُرَيَّة]، ثمّ تبعث إلى الرجال ممّنْ بأجأ وسَلمى من طيّئ، فواللّه لا يأتي عليك عشرة أيّام حتّى تأتيك طيّئ رجالا وركباناً، ثمّ أقمْ فينا ما بدا لك، فإن هاجك هَيْجٌ، فأنا زعيمٌ لك بعشرين ألف طائيّ يضربون بين يديك بأسيافهم، فواللّه لا يُوصل إليك أبداً وفيهم عين تطرف.

فقال له: جزاك اللّه وقومك خيراً! إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علامَ تتصرّف بنا وبهم الأُمور.

فودّعه وسار إلى أهله ووعده أن يوصل الميرة إلى أهله ويعود إلى نصره، ففعل، ثمّ عاد إلى الحسين، فلمّا بلغ عُذيب الهِجانات لقيه خبر قتله، فرجع إلى أهله[٦٨].

وقال الطبري: «حتّى انتهوا إلى عذيب الهِجانات وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له: الكامل، ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عديّ على فرسه، وهو يقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجري *** وشمّري قبل طلوع الفجرِ

بخير رُكبان وخير سفرِ *** حتّى تحلي بكريم النجرِ

الماجد الحرّ رحيب الصدرِ *** أتى به اللّهُ لخير أمرِ

ثمّت أبقاه بقاء الدهرِ

قال: فلمّا انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات، فقال: أمَا واللّه إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد اللّه بنا، قُتلنا أم ظفرنا.

قال: وأقبل إليهم الحرّ بن يزيد فقال:...»[٦٩].

بين الإمام ورجل من الكوفة في الرهيمة

قال الشيخ الصدوق: «ثمّ سار حتّى نزل الرهيمة، فورد عليه رجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرم، فقال: يا ابن النبيّ! ما الذي أخرجك من المدينة؟!

فقال: ويحك يا أبا هرم! شتموا عرضي فصبرت، وطلبوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم اللّه ليقتلنّي، ثمّ ليلبسنّهم اللّه ذلاً شاملا، وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ عليهم مَن يذلّهم»[٧٠].

بين الإمام وعبيداللّه بن الحرّ في قصر بني مقاتل

وسار الإمام عليه الصلاة والسلام حتّى انتهى إلى قصر بني مقاتل،

فنزل به، فرأى فسطاطاً مضروباً فقال: لِمَنْ هذا؟

---

(٦٨) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٦٩) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨، وانظر: مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٣٣.

(٧٠) الأمالي: ٢١٨ المجلس ٣٠، وانظر: الملهوف: ١٣٢.

فقيل: لعبيد الله بن الحُرّ الجُعفيّ.

فقال: ادعوه لي!

فلمّا أتاه الرسول يدعوه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلاّ كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أُريد أن أراه ولا يراني.

فعاد الرسولُ إلى الحسين فأخبره، فلبس الحسين نعلَيْه ثمّ جاء فسلّم عليه ودعاه إلى نصره، فأعاد عليه ابن الحُرّ تلك المقالة، قال: فإلاّ تنصرني فاتّقِ الله أن تكون ممّن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحدٌ ثمّ لا ينصرنا إلاّ هلك.

فقال له: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله تعالى.

ثمّ قام الحسين إلى رحله، ثمّ سار ليلا ساعةً فخفق برأسه خفقة ثمّ انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين.

فأقبل إليه ابنُه عليّ بن الحسين، فقال: يا أبتِ جُعلتُ فداك! مِمّ حمدتَ واسترجعتَ؟

قال: يا بنيّ إنّي خفقتُ [برأسي] خفقةً فعنّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم; فعلمتُ أنّ أنفسنا نُعيت إلينا.

فقال: يا أبتِ لا أراك الله سُوءاً، ألسنا على الحقّ؟!

قال: بلى والذي يرجع إليه العباد.

قال: إذاً لا نبالي أن نموت محقّين.

فقال له: جزاك الله من ولد خيراً ما جزى ولداً عن والده.

فلمّا أصبح نزل فصلّى ثمّ عجّل الركوبَ فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فأتى الحُرّ فردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه وارتفعوا، فلم يزالوا يتياسرون حتّى انتهوا إلى نِينَوى»[٧١].

الإمام في نينوى وكتاب ابن زياد للحرّ

ووصل الإمام عليه السلام إلى نينوى، فلمّا نزل بها «إذا براكب مقبل من الكوفة، فوقفوا ينتظرونه، فسلّم على الحُرّ ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحُرّ كتاباً من ابن زياد، فإذا فيه:

أمّا بعد، فجعجِعْ[٧٢] بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلاّ بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري; والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحُرّ: هذا كتاب الأمير يأمرني أن أُجعجع

بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وقد أمر رسولَه أن لا يفارقني حتّى أُنفذ رأيه.

وأخذهم الحُرّ بالنزول على غير ماء ولا في قرية، فقالوا: دَعْنا ننزل في نينوى أو الغاضريّة أو شُفَيّة.

---

(٧١) انظر: الكامل في التاريخ ٣ / ٤١٠ ـ ٤١١، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٧٢) الجَعْجَعُ: الموضع الضيّق الخشن، وقوله: «جَعْجِع» أي: ضيّق عليه المكان; انظر مادّة «جعع» في: لسان العرب ٢ / ٢٩٨، تاج العروس ١١ / ٦٧.

فقال: لا أستطيع، هذا الرجل قد بُعث عيناً عليَّ.

فقال زُهير بن القَين للحسين: إنّه لا يكون والله بعد ما ترون إلاّ ما هو أشدّ منه يا ابن رسول الله، وإنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال مَن يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينّا من بعدهم ما لا قِبل لنا به!

فقال الحسين: ما كنتُ لأبدأهم بالقتال.

فقال له زهير: سِرْ بنا إلى هذه القرية حتّى ننزلها فإنّها حصينة وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهون علينا مِن قتال مَن يجيء بعدهم.

فقال الحسين: ما هي؟

قال: العَقْر.

قال: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من العَقْر!

ثمّ نزل، وذلك يوم الخميس الثاني من محرّم سنة إحدى وستّين، فلمّا كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في
أربعة آلاف...»[٧٣].

وقال الخوارزمي: «وقال للحسين رجل من شيعته، يقال له: هلال بن نافع الجملي: يا ابن رسول الله! أنت تعلم أنّ جدّك رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقدر أن يُشرب الناس محبّته، ولا أن يرجعوا إلى ما كان أحبّ، فكان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمرّ من الحنظل، حتّى قبضه الله تبارك وتعالى إليه.

وإنّ أباك عليّاً صلوات الله عليه قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصرته وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، وقوم قعدوا عنه وخذلوه، حتّى مضى إلى رحمة الله ورضوانه وروحه وريحانه.

وأنت اليوم يا ابن رسول الله على مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضرّ إلاّ نفسه، والله تبارك وتعالى مغن عنه، فسِر بنا يا ابن رسول الله راشداً معافىً مشرّقاً إن شئت أو مغرّباً، فوالله الذي لا إله إلاّ هو ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

قال: وقال للحسين آخر من أصحابه، يقال له: برير بن خضير الهمداني: يا ابن رسول الله! لقد منّ الله تعالى علينا بك أن نقاتل بين يديك وتقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك رسول الله صلّى الله عليه وآله شفيعاً يوم القيامة لنا، فلا أفلح قوم ضيّعوا ابن بنت نبيّهم، أُفّ لهم غداً ما يلاقون، سينادون بالويل والثبور في نار جهنّم وهم فيها مخلّدون.

فجزّاهم الحسين خيراً.

---

(٧٣) الكامل في التاريخ ٣ / ٤١١ ـ ٤١٢، وانظر: الأخبار الطوال: ٢٥١، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٩ ـ ٣١٠، المنتظم ٤ / ١٥٢.

قال: وخرج وُلد الحسين وإخوته وأهل بيته حين سمعوا الكلام، فنظر إليهم وجمعهم عنده وبكى، ثمّ قال: اللّهمّ إنّا عترة نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله، قد أُخرجنا وأُزعجنا وطُردنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أُميّة علينا، اللّهمّ فخذ لنا بحقّنا وانصرنا على القوم الظالمين; ثمّ نادى بأعلى صوته في أصحابه: الرحيل! ورحل من موضعه ذلك»[٧٤].

وروى السيّد ابن طاووس، أنّ الإمام عليه السلام لمّا بلغ هذه الأرض، وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرّم، قال: «ما اسم هذه الأرض؟

فقيل: كربلاء.

فقال: انزلوا! ها هنا محطّ ركابنا وسفك دمائنا، ها هنا مخطّ قبورنا،

وها هنا واللّه سبي حريمنا، بهذا حدّثني جدّي.

فنزلوا جميعاً، ونزل الحرّ وأصحابه ناحية»[٧٥].

وقال الشيخ المجلسي: «فجمع الحسين عليه السلام وُلده وإخوته وأهل بيته، ثمّ نظر إليهم، فبكى ساعةً، ثمّ قال: اللّهمّ إنّا عترة نبيّك محمّد، وقد أُخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أُميّة علينا، اللّهمّ فخذ لنا بحقّنا، وانصرنا على القوم الظالمين.

قال: فرحل من موضعه حتّى نزل في يوم الأربعاء أو يوم الخميس بكربلاء، وذلك في الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين.

ثمّ أقبل على أصحابه، فقال: الناس عبيد الدنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محصّوا بالبلاء قلّ الديّانون.

ثمّ قال: أهذه كربلاء؟

فقالوا: نعم يا ابن رسول اللّه.

فقال: هذا موضع كرب وبلاء، ها هنا مناخ ركابنا، ومحطّ رحالنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا.

قال: فنزل القوم، وأقبل الحرّ حتّى نزل حذاء الحسين عليه السلام في ألف فارس، ثمّ كتب إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بكربلاء»[٧٦].

---

(٧٤) مقتل الحسين ١ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ف ١١.

(٧٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٩.

(٧٦) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٣.

الفصل الخامس

طبيعة المجتمع الكوفي

في عصر عليّ والحسنين

عليهم السلام

الذي يظهر من كلمات المؤرّخين، والنظر في أخبار الرواة، والتأمّل في مجريات الأُمور والحوادث الواقعة: أنّ أهل الكوفة في زمن أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام لم يكونوا شيعةً لأهل البيت، بل كان الطابع العامّ عليهم حبّ الشيخين واحترامهما والمتابعة لهما... بل حتّى في القرن الثالث، عصر مشايخ البخاري ومسلم، من أهل الكوفة، الموصوفين بالتشيّع، فعندما نرجع إلى تراجمهم ونسبر أحوالهم وأخبارهم، نراهم يحترمون الشيخين، وإنّما كانوا يتكلّمون في عثمان، وبعضهم أو كثير منهم يقدّم عليّاً على عثمان ويقولون بأفضليّته عليه... وهذا لا ينافي وجود جمع من المحدّثين قيل بتراجمهم «يسبّ الشيخين»... لكنّهم كانوا قليلين ويعيشون في تقيّة.

لكنّ الذي يعنينا الآن هو معرفة أحوال الكوفة في زمن الإمام عليّ والحسنين عليهم السلام... فإنّا لا نشكّ في عدم كون أكثرهم شيعةً بالمعنى الصحيح...

ومن الشواهد على ذلك: الخبر التالي، عن سلمة بن كهيل، قال: «جالست المسيّب بن نجبة الفزاري في هذا المسجد عشرين سنة وناس من الشيعة كثير، فما سمعت أحداً منهم يتكلّم في أحد من أصحاب
رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلاّ بخير، وما كان الكلام إلاّ في عليّ وعثمان»[٧٧].

فإنّ «المسيّب بن نجبة» أحد قادة التوّابين، وعداده في الشيعة، ولكنّ الشيعة الحقيقيّين كانوا أقلّيّة، ولذا كانوا يعيشون في تقيّة.

بل إنّ أهل الكوفة لم يكونوا مطيعين للإمام أمير المؤمنين في زمانه كوليّ للأمر يجب إطاعته وامتثال أوامره.. كأيّ حاكم آخر من حكّام المسلمين.. حتّى في حكم جزئي...

إنّ الّذين عملوا بحكم عمر بالنافلة في شهر رمضان ولم يسألوه عن وجه هذا الحكم الذي لم تنزل فيه آية في كتاب الله ولا فيه سُنّة من رسول الله... لم يسلّموا للإمام عليه السلام لمّا نهاهم عن تلك الصلاة، بل قاموا معترضين عليه، معلنين مخالفته ينادون: «وا سُنّة عمراه» مع أنّ نفس الدليل القائم عندهم على وجوب متابعة عمر يدلّ على وجوب متابعة عليّ، وإذا كان عمر من الخلفاء الراشدين، فعليٌّ كذلك، وإذا كانوا بايعوا عمر على السمع والطاعة، فقد بايعوا عليّاً على ذلك أيضاً...

---

(٧٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٣ / ٣١٥ رقم ٢٨٠.

وهذه واحدة من القضايا... وهي قضية فرعيّة...!!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: «قد عملتِ
الولاةُ قبلي أعمالا خالفوا فيها رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسُنّته، ولو حملتُ الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الّذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب اللّٰه عزّ وجلّ وسُنّة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله... إذاً لتفرّقوا عنّي.

واللّٰه، لقد أمرتُ الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام! غُيّرت سُنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً، ولقد خفت أنْ يثوروا في ناحية جانب عسكري.

ما لقيتُ من هذه الأُمّة من الفرقة وطاعة أئمّة الضلالة والدعاة إلى النار؟!»[٧٨].

ويلاحظ: أنّ الإمام عليه السلام يخشى من تفرّق جنده ـ والمفروض أن يكون الجند أطوع للإمام من غيرهم ـ فيما إذا أراد تحويل السنن المبتدعة إلى ما كانت عليه في عهد رسول اللّٰه، فكيف
لو أراد أنْ يحملهم على مرّ الحقّ؟!

وصريح كلامه عليه السلام قلّة الشيعة الّذين عرفوا فضله وفرض إمامته...

وإذا كان هذا حال القوم مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فما ظنّك بحالهم مع الإمام السبط الأكبر... ولا سيّما مع دسائس معاوية فيهم...

أضف إلى ذلك... فرقة الخوارج التي ظهرت في أُخريات أيّام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ هذه الفرقة كانت في ذلك العهد تتحرّك في صالح بني أُميّة وتعمل في خدمتهم، وعلى يدها استشهد الإمام الحسن عليه السلام.

وسيأتي الكلام على دورهم في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وعلى الجملة، فإنّ المجتمع الكوفي في ذلك الوقت كان يتكوّن في الأعمّ الأغلب من الفئات التالية:

١ ـ الشيعة

فلا ريب في وجود جماعة من شخصيات الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام في الكوفة... من أمثال: سليمان بن صرد; المختار بن
أبي عبيد; حبيب بن مظاهر; مسلم بن عوسجة; هاني بن عروة; والأصبغ بن نباتة...

٢ ـ الحزب الأُموي

---

(٧٨) الكافي ٨ / ٥٩ و ٦٢ ـ ٦٣ ح ٢١.

وهؤلاء أيضاً كانوا جماعةً من أشراف الكوفة، كالّذين كتبوا إلى يزيد يشكونه في أمر «النعمان بن بشير»، وقد عبَّر عنهم يزيد في كتابه إلى ابن زياد بـ«شيعتي»، وكالّذين تعاونوا مع ابن زياد في القضاء على مسلم بن عقيل وأصحابه; فمن رجال الحزب الأُموي في الكوفة:

حصين بن نمير; محمّد بن الأشعث بن قيس; عزرة بن قيس; كثير بن شهاب; القعقاع بن شور الذهلي; خالد بن عرفة; أبو بردة بن أبي موسى الأشعري; عبيدالله بن عبّاس السلمي; سمرة بن جندب; يزيد بن الحارث; أسماء بن خارجة; حجّار بن أبجر; شمر بن ذي الجوشن; بكر بن حمران الأحمري...

لقد كان هؤلاء وغيرهم حول ابن زياد، وهم الّذين جعلوا يخذّلون الناس عن مسلم عليه السلام، وعلى أيديهم تمّ القضاء عليه وعلى أصحابه، وكان لهم دور في حشد الناس لحرب الإمام عليه السلام، ثمّ خرجوا يقودون الجيوش لحربه.

وقد كان جماعة من هؤلاء عيوناً ليزيد; كمسلم بن سعيد
الحضرمي، وعمارة بن عقبة[٧٩]، وعبيدالله الحضرمي[٨٠]، ومسلم بن عمرو الباهلي.

وقد جاء أنّ الرجل الأخير ـ مسلم بن عمرو الباهلي ـ قد خاطب مسلم بن عقيل قائلا له: «أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته»[٨١].

وفي «تاريخ دمشق» ومختصره: «كان عظيم القدر عند يزيد...»[٨٢].

٣ ـ الخوارج

وهؤلاء كانوا كثرةً أيضاً، وفيهم جماعة من الأشراف; ولذا لمّا خطب ابن زياد في أوّل خطبة له في الكوفة، أمر بأن تُكتب له أسماؤهم، ولعلّ من أشهرهم: شبث بن ربعي، وعمرو بن حريث.

ترجمة شَبَث بن ربعي

بايع ـ مع جماعة ـ الضبَّ بدلا عن أمير المؤمنين عليه السلام
وقالوا: إنّهما سواء[٨٣].

قال شبث: أنا أوّل مَن حرّر الحروريّة[٨٤].

---

(٧٩) انظر: الأخبار الطوال: ٢٣١.

(٨٠) فهو أحد الّذين شهدوا زوراً على حُجر بن عديّ; راجع الصفحة ٩١.

(٨١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٠، البداية والنهاية ٨ / ١٢٧; وقد تقدّم في الصفحة ٢٦٩; فراجع!

(٨٢) تاريخ دمشق ٥٨ / ١١٤ رقم ٧٤٢٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٩٥ رقم ٢٦٦.

(٨٣) تنقيح المقال ٢ / ٨٠، وانظر: الإصابة ٣ / ٣٧٦ رقم ٣٩٥٩، معجم رجال الحديث ١٠ / ١٤ رقم ٥٦٨٧.

(٨٤) التاريخ الكبير ـ للبخاري ـ ٤ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ رقم ٢٧٥٥.

ترجمة عمرو بن حريث

كان من الصحابة، وهو أوّل قرشي اتّخذ الكوفة داراً، وكان من أغنى أهل الكوفة، وولي لبني أُميّة بالكوفة، وكانوا يميلون إليه ويتقوّون به، وكان هواه معهم; فالرجل قرشي مخزومي.

كانت له يد في قتل ميثم التمّار[٨٥].

والحَرُوريّة: فرقة من الخوارج تُنسب إلى «حَرُوراء» وقيل: «حَرَوْراء»، وهو موضع أو قرية بظاهر الكوفة، على ميلين منها، نزل به الخوارج، وكان أوّل اجتماعهم بها.

انظر: معجم البلدان ٢ / ٢٨٣ رقم ٣٦٢٩، لسان العرب ٣ / ١٢٠ مادّة «حرر».

(٨٥) تنقيح المقال ٢ / ٣٢٧، وانظر: أُسد الغابة ٣ / ٧١٠ رقم ٣٨٩٦، الاستيعاب ٣ / ١١٧٢ رقم ١٩٠٦، الإصابة ٤ / ٦١٦ رقم ٥٨١٢، معجم رجال الحديث ١٤ / ٩٢ رقم ٨٨٩١ و ج ٢٠ / ١٠٧ ـ ١٠٩.

الفصل السادس

هل كان الّذين كتبوا

إلى الإمام شيعةً له؟

لقد تقدّم أنّ الإمام عليه السلام كان في ريب من تلك الكتب، حتّى إنّه صرّح بأنّ أصحابها سيقتلونه، جاء ذلك في ما رواه يزيد الرشك عمّن شافه الإمام عليه السلام في الطريق، وفي رواية أُخرى ـ رواها البلاذري ـ قال عليه السلام: «ما كانت كُتتب مَن كَتب إليّ في ما أظنّ إلاّ مكيدةً لي، وتقرّباً إلى ابن معاوية بي»[٨٦].

فهل كان هؤلاء كلّهم شيعةً له؟

إنّ أوّل كتاب ذُكرت أسماء أصحابها فيه ـ في ما نعلم ـ هو الكتاب الذي أرسله: ١ ـ سليمان بن صرد ٢ ـ المسيَّب بن نجبة ٣ ـ رِفاعة بن شدّاد ٤ ـ حبيب بن مظاهر[٨٧]..

وقد كتبوا هذا الكتاب في منزل سليمان، بعد أن خَطَبهم; وقد تقدّم نصُّ كلامه عن كتاب «الإرشاد»[٨٨].

ومن الّذين كتبوا إليه جماعة ناشدهم الإمام عليه السلام في يوم

عاشوراء، وهم: ١ ـ شبث بن ربعي ٢ ـ حجّار بن أبجر ٣ ـ قيس بن الأشعث ٤ ـ يزيد بن الحارث..

قال لهم عليه السلام: «ألم تكتبوا إليَّ؟!».

قالوا: لم نفعل[٨٩].

وقد كذبوا عليهم لعنة اللّه، فقد جاء في الأخبار أنّه بعد أنْ استُشهد الإمام عليه السلام، قال ابن سعد لشبث بن ربعي: «إنزل فجئني برأسه!

فقال: أنا بايعتُه ثمّ غدرتُ به، ثمّ أنزلُ فأحتزّ رأسه؟! لا واللّه لا أفعل ذلك.

قال: إذن أكتبُ إلى ابن زياد.

قال: أُكتبْ له!»[٩٠].

ومنهم: عمرو بن الحجّاج الزبيدي[٩١]، وهو أبو زوجة هاني بن عروة[٩٢]، وهو الذي قاد العسكر لاحتلال الفرات، وقطع الماء عن أهل البيت ومعسكر الإمام[٩٣].

---

(٨٦) أنساب الأشراف ٣ / ٣٩٣.

(٨٧) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٥/ ـ ٣٨٦، البداية والنهاية ٨ / ١٢١ ـ ١٢٢.

(٨٨) تقدّم في الصفحتين ٢٦٠ ـ ٢٦١; فراجع!

(٨٩) انظر: انساب الأشراف ٣ / ٣٩٦، الكامل في التاريخ ٣ / ٤١٩، البداية والنهاية ٨ / ١٤٣.

(٩٠) الدرّ النظيم: ٥٥١.

(٩١) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٤٤، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣١٤، البداية والنهاية ٨ / ١٢٢.

(٩٢) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٤٤.

(٩٣) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣١١ ـ ٣١٢.

ومنهم: عزرة بن قيس الأحمسي[٩٤]، وهو الذي أراد ابن سعد أن يبعثه رسولا إلى الإمام فأبى; لأنّه كان ممّن كتب إليه بالقدوم[٩٥].

ومنهم: محمّد بن عمير التميمي[٩٦].

ولدى التحقيق يتبيّن أنّ الّذين كتبوا إليه ينقسمون إلى قسمين:

١ ـ قسم كانوا شيعة له، وهم: سليمان بن صرد وجماعته، وفراس بن جعدة.

٢ ـ وقسم لم يكونوا شيعةً له، وهؤلاء على قسمين:

أ ـ الخوارج، أمثال «شبث بن ربعي».

ب ـ حزب بني أُميّة، أمثال «حجّار بن أبجر».

فأمّا «الشيعة»، فمنهم من استشهد مع الإمام عليه السلام، كحبيب بن مظاهر الأسدي.

ومنهم: سليمان بن صرد وجماعته.. الّذين سنتحدَّث عنهم فيما بعد.

رُسُل أهل الكوفة إلى الإمام

ثمّ إنّ من الرسل إلى الإمام عليه السلام:

١ ـ عبدالله بن مسمع الهمداني

٢ ـ عبدالله بن وال

٣ ـ قيس بن مُسْهِر الصيداوي

٤ ـ عمارة بن عبدالله السلولي

٥ ـ هاني بن هاني السبيعي

٦ ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن الكون الأرحبي.

٧ ـ سعيد بن عبدالله الحنفي

وقد كان «سعيد» هذا ممّن بايع مسلماً عليه السلام، مع عابس الشاكري وحبيب بن مظاهر، في بيت المختار الثقفي[٩٧]، ثمّ استشهد ثلاثتهم مع الإمام في الطفّ[٩٨].

و «عبدالرحمن» المذكور استشهد ـ أيضاً ـ مع الإمام[٩٩].

---

(٩٤) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٣٤، وانظر: أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٠، تاريخ الطبري ٣ / ٣١٧.

(٩٥) تاريخ الطبري ٣ / ٣١٠، البداية والنهاية ٨ / ١٨٧.

(٩٦) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٣٤.

(٩٧) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٩.

(٩٨) مناقب آل أبي طالب ٤ / ١١٢، البداية والنهاية ٨ / ١٤٨.

و «قيس بن مسهِر» استشهد في الكوفة، فقد كان حاملا لكتاب من

الإمام إلى أهل الكوفة، فمضى إلى الكوفة وعبيدالله ابن زياد قد وضع المراصد والمصابيح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلاّ فُتّش، فلمّا تقارب من الكوفة قيس بن مسهر لقيه عدوٌّ للّه، يقال له: الحصين بن نمير السكوني، فلمّا نظر إليه قيس كأنّه اتّقى على نفسه، فأخرج الكتاب سريعاً فمزّقه عن آخره، فأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيساً وأخذوا الكتاب ممزّقاً حتّى أتوا به إلى عبيدالله بن زياد...[١٠٠].

و «عبدالله بن وال» كان مع سليمان بن صرد، وقد استشهد معه; نقل ابن الأثير: أنّ أدهم بن محرز الباهلي حمل بخيله ورجله على التوّابين، فوصل ابنُ محرز إلى ابنِ وال وهو يتلو: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)[١٠١]، فغاظ ذلك أدهم بن محرز، فحمل عليه فضرب يده فأبانها، ثمّ تنحّى عنه وقال: إنّي أظنّك وددت أنّك عند أهلك؟!

قال ابن وال: بئسما ظننت، واللّه ما أُحبّ أنّ يدك مكانها إلاّ أن يكون لي من الأجر ما في يدي; ليعظم وزرك ويعظم أجري.

فغاظه ذلك أيضاً، فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول،

وكان ابن وال من الفقهاء العبّاد[١٠٢].

وكذا قُتل معه جماعته الآخرون، الّذين كتبوا إلى الإمام عليه السلام أو كانوا رسلا إليه، إلاّ «حبيب بن مظاهر»، فإنّه استشهد في الطفّ، وإلاّ «رفاعة بن شدّاد»، فإنّه رجع إلى الكوفة بعد استشهاد سليمان والجماعة[١٠٣].

* * *

---

(٩٩) مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٢٢.

(١٠٠) الفتوح ٥ / ٩٢ ـ ٩٣; وقد تقدّم في الصفحات ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

(١٠١) سورة آل عمران ٣: ١٦٩.

(١٠٢) انظر: الكامل في التاريخ ٤ / ٨ حوادث سنة ٦٥ هـ.

(١٠٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥ ضمن ترجمة سليمان بن صرد الخزاعي.

الفصل السابع

إجراءات ابن زياد

في الكوفة

لقد ولّى يزيدُ بن معاوية عبيدَ اللّه بن زياد على الكوفة، بعد أن لعب الوالي عليها ـ وهو: النعمان بن بشير ـ دوره المأمور به، بوصيّة من معاوية، فكتب إليه يزيد مع مسلم بن عمرو:

«أمّا بعد، فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبروني أنّ ابن عقيل بها يجمع الجموع ويشقُّ عصا المسلمين، فسِرْ حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخُرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه; والسلام.

وسلّم إليه عهده على الكوفة.

فسار مسلم بن عمرو، حتّى قدم على عبيداللّه بالبصرة، فأوصل إليه العهد والكتاب، فأمر عبيداللّه بالجهاز من وقته، والمسير والتهيّؤ إلى الكوفة من الغد، ثمّ خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهليّ وشريكُ بن أعور الحارثيّ وحشمه وأهل بيته، حتّى دخل الكوفة وعليه عمامةٌ سوداء وهو مُتلثّم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين رأوا عبيدَ اللّه أنّه الحسين، فأخذ لا يمرُّ على جماعة من الناس إلاّ سلَّموا عليه وقالوا: مرحباً بابن رسول اللّه، قدمتَ خيرَ مقدم.

فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه، فقال مسلم بن عمرو لمّا أكثروا: تأخَّروا! هذا الأمير عبيدُ اللّه بن زياد.

وسار حتّى وافى القصر في الليل، ومعه جماعةٌ قد التفُّوا به لا يشكُّون أنّه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى حامّته، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فاطّلع إليه النعمان وهو يظنّه الحسين فقال: أنشدك اللّه إلاّ تنحّيت، واللّه ما أنا مسلّمٌ إليك أمانتي، وما لي في قتالك من أَرَب.

فجعل لا يكلّمه، ثمّ إنّه دنا وتدلّى النعمان من شَرَف فجعل يُكلّمه، فقال: افتح لا فتحت، فقد طال ليلك!

وسمعها إنسان خلفه فنكص إلى القوم الّذين اتّبعوه من أهل الكوفة على أنّه الحسين فقال: أي قوم! ابن مرجانة والّذي لا إله غيره.

ففتح له النعمان ودخل، وضربوا الباب في وجوه الناس فانفضّوا.

وأصبح فنادى في الناس: الصلاةُ جامعةٌ; فاجتمع الناس، فخرج إليهم فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين ولاّني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومُطيعكم كالوالد البرِّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليُبقِ امرؤ على نفسه; الصدق ينبي عنك لا الوعيد.

ثمّ نزل، فأخذ العُرفاءَ والناسَ أخذاً شديداً فقال: اكتبوا إلى العُرفاء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومَن فيكم من الحروريّة وأهل الريب، الّذين رأيهم الخلافُ والشِّقاق، فمن يجيء بهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عِرافته ألاّ يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغِ علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّةُ وحلالٌ لنا دمُه ومالُه،

وأيّما عريف وُجدَ في عرافته من بُغية أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا، صُلِبَ على باب داره، وأُلغيت تلك العرافةُ من العطاء»[١٠٤].

واتّخذ ابن زياد فور وصوله إلى الكوفة ـ بعد أنْ عُرف أصحاب مسلم بن عقيل وشيعته وانكشفوا على أثر سكوت «النعمان بن بشير» عنهم!! ـ إجراءات عديدة غيَّرت مجاري الأُمور، وانتهت بالقضاء على مسلم وأنصاره واستشهادهم، ثمّ استشهاد الإمام وأصحابه في كربلاء، ونحن نلخّص ما قام به في خطوط:

١ ـ الشائعات

كان للإشاعات الدور الكبير في تفرّق الناس عن مسلم عليه السلام، فقد أمر ابنُ زياد جماعةً ممّن حوله أنْ يعلموا الناس بوصوله إلى
الكوفة ويشيعوا بينهم وصول جيش من الشام ويخوّفونهم به، ويخذّلونهم عن مسلم بن عقيل[١٠٥].

ومن هؤلاء: شهاب الحارثي، فقد جاء بترجمته من «مختصر تاريخ دمشق» أنّه هو الذي قبض على حُجر بن عديّ وجماعته وأخذهم إلى معاوية، وكان والي الريّ من قبل معاوية[١٠٦].

٢ ـ نصب العرفاء

وهم الّذين يعرفون أفراد القبائل ويتولّون أُمورهم، وبواسطتهم يتعرّف الأمير على أحوالهم، فيخبرونه عمّن تخلّف عن القتال مثلا، وعمّن وُلد له منهم، ومن مات، وعلى أيديهم تجري أُعطيات أفراد القبائل، وعن طريقهم تنفّذ السلطات مقاصدها في القبيلة[١٠٧].

وكان لهؤلاء الّذين نصبهم دور كبير في إخراج الناس لحرب الإمام عليه السلام.

٣ ـ نصب رؤساء القبائل

وجعل ابن زياد النظام القبلي في الكوفة على النحو التالي، مع تعيين رؤساء القبائل[١٠٨]، فجعل:

عمرو بن حريث، على أهل المدينة; وقد كان عليهم من قبل مسلم بن عقيل: العبّاس بن جعدة الجدلي.

---

(١٠٤) الإرشاد ٢ / ٤٢ ـ ٤٥، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٨١، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩، البداية والنهاية ٨ / ١٢٢ ـ ١٢٣.

(١٠٥) انظر: بحار الأنوار ٤٤ / ٣٥٠.

(١٠٦) مختصر تاريخ دمشق ٢١ / ١٣٨ رقم ١٠٠.

(١٠٧) انظر: فيض القدير ٢ / ٤٧٦ ح ٢٠٧٥، ومادّة «عرف» في: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٢١٨، لسان العرب ٩ / ١٥٤.

(١٠٨) تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

والواضع الأوّل لهذا النظام في الكوفة هو عمر بن الخطّاب; انظر: تاريخ الطبري ٢ / ٤٧٩ حوادث سنة ١٧ هـ الأحكام السلطانية ـ للماوردي ـ : ٢٤٩ وما بعدها.

وخالد بن عرفطة، على تميم وهمدان; وكان عليهم من قبل مسلم: أبو ثمامة الصائدي، وكان أبو ثمامة ـ وهو: عمرو أبن عبدالله بن الأنصاري ـ يقبض الأموال لمسلم ويشتري السلاح[١٠٩].

وقيس بن الوليد بن عبدشمس، على ربيعة وبكر وكندة; وكان عليهم من قبل مسلم: عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي.

وأبا بردة ابن أبي موسى الأشعري، على مذحج وأسد; وكان عليهم من قبل مسلم: مسلم بن عوسجة.

٤ ـ بثُّ الجواسيس

وبثّ جواسيسه وعيونه بين الناس، للتعرّف على مواقع الشيعة وشخصيّاتهم وتحرّكاتهم، بعد أن لاذوا بالكتمان والاختفاء; وقضيّة إرساله مولاه المسمّى بـ«معقل» ومعه ثلاثة آلاف درهم ليلتمس له موضع مسلم بن عقيل عليه السلام وأفراد أصحابه، وأنّه جاء إلى المسجد الأعظم والتقى مسلمَ بن عوسجة، وتظاهر بأنّه من الشيعة وجعل يتباكى... معروفة[١١٠].

٥ ـ محاصرة الكوفة

وقد سيطر على جميع أطراف الكوفة والطرق المؤدّية إليها، فما دخل إليها أو يخرج منها أحدٌ إلاّ ويفتّش ويفحص عن حاله ويُعرف; وكان يزيد قد كتب إليه:

«إنّه قد بلغني أنّ الحسين بن عليّ قد توجّه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظنّ، وخذ على التهمة»[١١١].

وسأل الإمام عليه السلام في الطريق بعض الناس عمّا يجري في
الكوفة، فأجاب: «لا والله ما ندري، غير إنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج»[١١٢].

وكان على شرطته: سمرة بن جندب[١١٣]، والحصين بن نمير، وقد قال له: «يا حصين بن نمير! ثكلتك أُمّك إنْ ضاع بابٌ سكّة من سكك الكوفة وخرج هذا الرجل ـ يعني مسلماً عليه السلام ـ ولم تأتني به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة»[١١٤].

---

(١٠٩) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٤٢، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٤.

(١١٠) انظر: أنساب الأشراف ٢ / ٣٣٦، الفتوح ٥ / ٤٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٢، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٥، الأخبار الطوال: ٢٣٥، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٩، البداية والنهاية ٨ / ١٢٣.

(١١١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٣.

(١١٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٩.

(١١٣) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٨ ـ ٧٩.

(١١٤) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٥١.

وقد تقدّم كيف عرف قيسَ بن مسهر الصيداوي لمّا أراد الدخول إلى الكوفة، وقبض عليه، واستشهد رحمه الله[١١٥].

وكقضيّة عبدالله بن يقطر[١١٦] ـ أو: بقطر ـ الذي كان يحمل كتاباً من الإمام عليه السلام، فأخذ مالك بن يربوع التميمي الكتاب منه، فأمر ابن زياد بقتله[١١٧].

القضاء على الشيعة

وهكذا تمكّن ابن زياد من القضاء على أنصار مسلم بن عقيل، كهانئ بن عروة وغيره، حتّى إنّه قتل بعضهم بين أبناء عشيرته أمام أعين قومه، ونكتفي هنا ببعض القضايا كما ذكر المؤرّخون:

ميثم التمّار

وهو من بني أسد، وكان من خواصّ مولانا أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام، وطالما كان عليه السلام يخرج من جامع الكوفة فيجلس عنده فيحادثه، وربّما كان يبيع له التمر إذا غاب، قال له ذات يوم: «ألا أُبشّرك يا ميثم؟».

فقال: بماذا يا أمير المؤمنين؟

قال: «بأنّك تموت مصلوباً».

فقال: يا مولاي! وأنا على فطرة الإسلام؟

قال: «نعم».

ثمّ قال له: «يا ميثم! تريد أُريك الموضع الذي تصلب فيه والنخلة التي تعلّق عليها وعلى جذعتها؟».

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فجاء به إلى رحبة الصيارف وقال له: «ها هنا»، ثمّ أراه نخلة وقال له:

«على جذع هذه».

فما زال ميثم رضي الله عنه يتعاهد تلك النخلة حتّى قُطعت وشُقت نصفين، فسُقف بالنصف منها وبقي النصف الآخر، فما زال يتعاهد النصف ويصلّي في ذلك الموضع ويقول لبعض جيران الموضع: يا فلان! إنّي أُريد أن أُجاورك عن قريب فأحسِن جواري.

فيقول ذلك الرجل في نفسه: يريد ميثم أن يشتري داراً في جواري; ولا يعلم ما يريد بقوله.

---

(١١٥) تقدّم في الصفحات ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

(١١٦) وُلد مع الإمام عليه السلام في زمن واحد، لذا سمّي: لدة الحسين، ورضيع الحسين: لأنّ أباه كان خادماً لرسول الله، وكانت ميمونة زوجته في بيت أمير المؤمنين، فولدت عبدالله هذا قبل ولادة الإمام الحسين بثلاثة أيّام، وكانت تحضن الإمام الحسين ـ كما بترجمتها في «الإصابة» ـ وترضع ولدها، فسمّي: رضيع الحسين.

(١١٧) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٤٣.

حتّى قُبض الإمام عليّ عليه السلام، وظهر عبيدالله بن زياد وأصحابه، وأخذ ميثم في مَن أخذ وأمر بصلبه، فصُلب على ذلك الجذع في ذلك المكان، فلمّا رأى ذلك الرجل أنّ ميثماً قد صلب في جواره قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون; ثمّ أخبر الناس بقصّة ميثم وما قاله في حياته، وما زال ذلك الرجل يتعاهده ويكنس تحت الجذع ويبخّره ويصلّي عنده ويكرّر الرحمة عليه، رضي الله عنه[١١٨].

يحدّثنا الكشّي في رجاله فيقول: «مرّ ميثم التمّار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلف أعناق فرسيهما، ثمّ قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع ضخم البطن

يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صُلب في حبّ أهل بيت نبيّه عليه السلام، تُبقر بطنه على الخشبة.

فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلا أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيّه فيُقتل ويُجال برأسه بالكوفة.

ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رُشيد الهجري فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رُشيد: رحم الله ميثماً نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مئة درهم.

ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم!

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيّام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قُتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلَّ ما قالوا»[١١٩].

روى ابن حجر العسقلاني في «الإصابة»، قال: كان ميثم التمّار عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه عليٌّ منها وأعتقه، وقال له: «ما اسمك؟».

قال: سالم.

قال: «أخبرني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ اسمك الذي سمّاك به أبواك في العجم: مِيثم».

قال: صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين، والله إنّه لاسمي.

قال: «فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودع سالماً».

فرجع مِيثم واكتنى بأبي سالم، فقال له عليٌّ ذات يوم: «إنّك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا جاء اليوم الثالث ابتدر منخراك وفوك دماً فتخضب لحيتك، وتصلب على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة، وأنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، فامض حتّى أُريك النخلة التي تصلب على جذعها».

فأراه إيّاها، وكان مِيثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركت من نخلة، لك خُلقت ولي غُذّيت; فلم يزل يتعاهدها حتّى قطعت.

---

(١١٨) انظر: بحار الأنوار ٤٢ / ١٣٨ ح ١٩.

(١١٩) رجال الكشّي ١ / ٢٩٢ رقم ١٣٣.

ثمّ كان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إنّي مجاورك فأحسِن جواري.

فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟ وهو لا يعلم ما يريد.

ثمّ حجّ في السنة التي قُتل فيها، فدخل على أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين فقالت له: من أنت؟

قال: أنا مِيثم.

فقالت: واللّه لربّما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يذكرك ويوصي بك عليّاً.

فسألها عن الحسين، فقالت: هو في حائط له.

فقال: أخبريه أنّي قد أحببت السلام عليه فلم أجده، ونحن ملتقون عند ربّ العرش إن شاء اللّه تعالى.

فدعت أُمّ سلمة بطيب فطيّب به لحيته، فقالت له: أما إنّها ستخضب بدم.

فقدم الكوفة، فأخذه عبيداللّه بن زياد، فأُدخل عليه فقيل له: هذا كان آثر الناس عند عليّ.

قال: ويحكم! هذا الأعجمي؟!

فقيل له: نعم.

فقال له: أين ربّك؟!

قال: بالمرصاد للظلمة، وأنت منهم.

قال: إنّك على أعجميّتك لتبلغ الذي تريد; أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أنّي فاعل بك؟

قال: أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة، وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة.

قال: لنخالفنّه!

قال: كيف تخالفه؟! واللّه ما أخبرني إلاّ عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم عن جبرئيل عن اللّه، ولقد عرفت الموضع الذي أُصلب فيه، وأنّي أوّل خلق اللّه أُلجم في الإسلام.

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد الثقفي ـ بعد شهادة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة بيومين أو ثلاث ـ فقال ميثم للمختار: إنّك ستفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك.

فلمّا أراد عبيداللّه بن زياد أن يقتل المختار، وصل بريد من يزيد يأمره بتخلية سبيله، فخلاّه وأمر بميثم أن يُصلب، فلمّا رُفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث قال عمرو: قد كان واللّه يقول لي: إنّي مجاورك.

فجعل مِيثم يحدّث الناس بفضائل عليّ وبني هاشم.

فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد.

قال: ألجموه!

فكان أوّل من أُلجم في الإسلام، فلمّا أن كان اليوم الثالث من صلبه طُعن بالحربة، فكبّر، ثمّ انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً، وكان ذلك قبل مقدم الإمام الحسين العراقَ بعشرة أيّام[١٢٠].

---

(١٢٠) انظر: الإصابة ٦ / ٣١٧ ـ ٣١٨.

عبيدالله الكندي

كان عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي فارساً شجاعاً كوفياً من الشيعة، وشهد مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مشاهده كلّها، وكان من الّذين بايعوا مسلماً، وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين عليه السلام هو ومسلم بن عوسجة، فلمّا رأى مسلم بن عقيل اجتماع الناس عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وعلى ربع كندة وربيعة عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي.

فلمّا تخاذل الناس عن مسلم قبض عليه الحصين بن نمير التميمي، فسلّمه إلى عبيدالله بن زياد فحبسه.

ولمّا قُتل مسلم بن عقيل أحضره ابن زياد فسأله: ممّن أنت؟!

قال: من كندة.

قال: أنت صاحب راية كندة وربيعة؟!

قال قال: نعم.

قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه!

قال: فانطلقوا به فضُربت عنقه رضي الله عنه[١٢١].

عبيدالله بن الحارث

وهو عبيدالله بن الحارث بن نوفل بن عمرو بن الحارث ابن ربيعة بن بلال بن أنس بن سعد الهمداني، أدرك الصحبة، وشهد صِفّين مع الإمام عليّ عليه السلام، وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين عليه السلام، فلمّا خرج مسلم رضي الله عنه خرج معه براية حمراء.

فلمّا تخاذل الناس عن مسلم أمر عبيدالله بن زياد أن يطلب عبيدالله بن الحارث، فقبض عليه كثير بن شهاب فسلّمه إلى ابن زياد، فحبسه مع مَن حبس.

ولمّا قُتل مسلم رضي الله عنه أحضره عبيدالله فسأله: من أنت؟! فلم يتكلّم.

فقال: أنت الذي خرجت براية حمراء وركزتها على باب دار عمرو بن حريث، وبايعت مسلماً، وكنت تأخذ البيعة للحسين؟! فسكت.

فقال ابن زياد: انطلقوا به إلى قومه فاضربوا عنقه.

فانطلقوا به فضربت عنقه رضي الله عنه[١٢٢].

عبدالأعلى الكلبي

---

(١٢١) انظر: مقتل الحسين ـ لأبي مخنف ـ: ٤٢، تاريخ الطبري: ٣ / ٢٨٦، وفي مقاتل الطالبيّين: ١٠٣ عبدالرحمن بن عزيز الكندي، وفي الأخبار الطوال: ٢٣٨ عبدالرحمن بن كريز الكندي.

(١٢٢) انظر: مقتل الحسين ـ لأبي مخنف ـ: ٦١، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

وهو عبدالأعلى بن يزيد الكلبي العليمي، من بني عليم، كان فارساً شجاعاً قارئاً، من الشيعة، كوفياً، وكان هو وحبيب ابن مظاهر الأسدي يأخذان البيعة من أهل الكوفة للحسين عليه السلام، ثمّ خرج مع مسلم بن عقيل في مَن خرج.

فلمّا تخاذل الناس عن مسلم، قبض عليه كثير بن شهاب فسلمه إلى عبيدالله بن زياد فحبسه مع مَن حبس.

ولمّا قُتل مسلم وهاني دعاه ابن زياد فسأله عن حاله، فقال له: أخبِرني بأمرك!

فقال: أصلحك الله، خرجت لأنظر ما يصنع الناس فأخذني كثير بن شهاب.

فقال له ابن زياد: فعليك من الأيمان المغلّظة إنْ كان ما أخرجك إلاّ ما زعمت.

فأبى أن يحلف، فقال ابن زياد: انطلقوا بهذا إلى جبّانة السبيع[١٢٣]

فاضربوا عنقه بها.

فانطلقوا به فضُربت عنقه رضي الله عنه[١٢٤].

العبّاس الجدلي

وهو العبّاس بن جعدة الجدلي، كان من الشيعة الّذين بايعوا مسلم بن عقيل رضي الله عنه في الكوفة، ومن المخلصين في الولاء لأهل البيت، وكان يأخذ البيعة من الناس للحسين بن عليّ عليه السلام.

قال عبدالله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هاني، فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أوّل أهل الدار ممّن دخل على مسلم بن عقيل بالخبر... فأمرني أن أُنادي في أصحابه... فاجتمعوا إليه... وعقد لعبّاس ابن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثمّ أقبل نحو القصر، فلمّا بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر وغلّق الأبواب.

فلمّا تخاذل الناس عن مسلم، قبض عليه محمّد بن الأشعث الكندي، فسلّمه إلى ابن زياد، فحبسه.

ولمّا قُتل مسلم أحضره ابن زياد وقال له: أنت العبّاس بن جعدة الذي عقد لك ابن عقيل على ربع المدينة؟!

قال: نعم.

قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه!

فانطلقوا به فضُربت عنقه رضي الله عنه[١٢٥].

عمارة الأزدي

---

(١٢٣) جبّانة السبيع: محلّة بالكوفة كان بها يوم للمختار بن عبيد، وقال البلاذري: نسبت إلى ولد السبيع بن سبع بن مصعب الهمداني.

انظر: فتوح البلدان: ٢٨٠، معجم البلدان ٢ / ١١٦ رقم ٢٩١٤.

(١٢٤) انظر: مقتل الحسين ـ لأبي مخنف ـ : ٥٧، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٢.

(١٢٥) انظر: مقتل الحسين ـ لأبي مخنف ـ : ٤٢، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

وهو عمارة بن صلخب الأزدي، كان فارساً شجاعاً من الشيعة الّذين بايعوا مسلم بن عقيل رضي اللّه عنه، وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين بن عليّ عليه السلام.

كان خرج مع مسلم لنصرته، فلمّا تخاذل الناس عنه خرج محمّد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاء عمارة بن صلخب وعليه سلاحه، فقبض عليه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه.

فلمّا قُتل مسلم رضي اللّه عنه أحضره ابن زياد فسأله: ممّن أنت؟!

قال: من الأزد.

فقال: انطلقوا به إلى قومه فاضربوا عنقه!

فانطلقوا به إلى الأزد، فضُربت عنقه بين ظهرانيهم رضي اللّه عنه[١٢٦].

اعتقال المختار وسليمان وجماعته

وعلى الجملة، فقد قتل ابنُ زياد الشيعةَ، وقطّع الأيدي والأرجل منهم، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل.

ومنهم من طردهم وشرّدهم، فلم يتمكّنوا من البقاء في الكوفة.

وقام بحملة اعتقالات واسعة فتمكّن من إلقاء القبض على مجموعة منهم، فكان من بين كبار الشخصيّات المعتلقين:

١ ـ المختار بن أبي عبيد[١٢٧]؛

٢ ـ سليمان بن صرد وجماعته؛

٣ ـ عبداللّه بن نوفل بن الحارث[١٢٨]؛

وغير هؤلاء كثيرون، ولا يعلم عددهم إلاّ اللّه.

وقد جاء في خطاب لابن زياد ما نصّه: «وما تركت لكم ذا ظنّة أخافه عليكم إلاّ وهو في سجنكم»[١٢٩].

ثمّ إنّه لمّا خرج من البصرة ـ بعد موت يزيد ـ إلى الشام، أظهر الندم على تركه قتل مَن كان في السجن، ففي كلام له مع يساف بن شريخ اليشكري: «كنتُ أقول: ليتني كنتُ أخرجتُ أهل السجن فضربتُ أعناقهم»[١٣٠].

وقد كان هؤلاء كلّهم في السجن إلى أن قُتل الإمام عليه السلام، وقد نصّ المؤرّخون على ذلك بالنسبة إلى بعضهم.

كلمةٌ حول سليمان بن صرد

---

(١٢٦) انظر: مقتل الحسين ـ لأبي مخنف ـ : ٤٤ و ٥٨، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٢.

(١٢٧) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٠ ـ ٤٠١، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٩٨.

(١٢٨) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٤، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٩٨ حوادث سنة ٦٠ هـ

(١٢٩) تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٤.

(١٣٠) تاريخ الطبري ٣ / ٣٧٥.

و «سليمان بن صرد» من أصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، وله ترجمة في كتب الصحابة[١٣١]، قالوا: وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وممّن حضر صِفّين معه[١٣٢]، قالوا: وكان ديّناً عابداً[١٣٣]، وكان له شرف في قومه[١٣٤].

لقد كتب سليمان إلى الإمام عليه السلام ومعه جماعة، بعد أن خطبهم في منزله بكلام لا يمكن أن يكون كلام من يريد الغدر والخديعة.

ثمّ إنّ الإمام كتب إليهم من الطريق: «بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، من

الحسين بن عليّ إلى سليمان بن صرد و... جماعة المؤمنين» فوصفهم بـ«المؤمنين»، لكنّ ابن زياد علم بكتابتهم إلى الإمام، كما إنّ قيساً الصيداوي الحامل لكتابه إليهم قد أُسر وقتل... كما تقدّم.

إلاّ أنّ هؤلاء لم يكونوا في كربلاء، لا مع الإمام ولا ضدّه ـ إلاّ حبيباً رحمه اللّٰه، الذي استشهد بين يديه ـ ، ثمّ قاموا في سنة ٦٥[١٣٥] يطلبون بثأر الإمام بعد سنين، حتّى خرجوا إلى قتال ابن زياد وأهل الشام ومعهم أربعة آلاف، فقُتل سليمان وأصحابه إلاّ رفاعة.

فأين كانوا هذه المدّة؟! ولماذا خفي أمرهم وخبرهم؟!

فهل خذلوا الإمام بعد أن دعوه، وتركوا نصرته عن اختيار وقدرة؟!

لقد اضطربت كلمات المؤرّخين في سليمان..

فقال: بعضهم: ترك القتال معه[١٣٦].

وقال بعضهم: تخلّوا عنه[١٣٧].

وقال بعضهم: عجز عن نصره[١٣٨].

وبعضهم لم يذكر كتابته إلى الإمام، ولم يتعرّض لعدم قتاله معه[١٣٩].

وبعضهم لم يتعرّض لشيء من أخباره في حوادث سنة ٦٥[١٤٠].

وقال الذهبي: «قال ابن عبدالبرّ: كان ممّن كاتب الحسين ليبايعه، فلمّا عجز عن نصره ندم وحارب.

---

(١٣١) انظر: معرفة الصحابة ـ لأبي نُعيم ـ ٣ / ١٣٣٤ رقم ١٢١٣، الاستيعاب ٢ / ٦٤٩ رقم ١٠٥٦، أُسد الغابة ٢ / ٢٩٧ رقم ٢٢٣٠، الإصابة ٣ / ١٧٢ رقم ٣٤٥٩.

(١٣٢) المنتظم ٤ / ٢٠٣ حوادث سنة ٦٥ هـ سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥ رقم ٦١، تاريخ بغداد ١ / ٢٠١ رقم ٤١.

(١٣٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥.

(١٣٤) المنتظم ٤ / ٢٠٣، تاريخ بغداد ١ / ٢٠١.

(١٣٥) وقيل سنة ٦٧ هـ

(١٣٦) الاستيعاب ٢ / ٦٥٠.

(١٣٧) العقد الثمين ٤ / ٢٣٨.

(١٣٨) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥ رقم ٦١.

(١٣٩) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٣٤ رقم ٢٣٢.

(١٤٠) المختصر في أخبار البشر ١ / ١٩٤.

قلت: كان ديّناً عابداً، خرج في جيش تابوا إلى الله من خذلانهم الحسين الشهيد، وساروا للطلب بدمه، وسمّوا جيش التوّابين»[١٤١].

فانظر إلى الاضطراب في كلامهم، ولا سيّما كلام الذهبي هذا، فتأمّله بدقّة..

أوّلا: ليس في كلام ابن عبدالبرّ: «فلمّا عجز عن نصره ندم وحارب».

وثانياً: كيف عجز؟! وما كان عذره؟!

وثالثاً: إن كان «عاجزاً» فما معنى «ندم»؟!

ورابعاً: «خرج في جيش تابوا...» كلام مجمل.. فهو قد خرج في هذا الجيش، بل كان هو القائد، لكن هل كان من الّذين خذلوا؟!

هذا، ولا يخفى السبب في اختلاف كلماتهم واضطرابها; إذ إنّ الرجل من الصحابة، ومن رجال الصحاح الستّة[١٤٢]، وكان عابداً ديّناً

شريفاً في قومه، ومثله ـ مع خطبته في داره، ثمّ الكتاب الذي كتبوه إلى الإمام، وما كتبه إليهم عليه السلام ـ لا يخذل مثل الحسين سبط رسول الله...

لكنّ الذهبي وغيره لا يريدون التصريح باعتقاله وجماعته، تستّراً على فضائح بني أُميّة وحكومتهم...

ومن العجب قول ابن حبّان: «وكان مع الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، فلمّا قتل الحسين انفرد من عسكره تسعة آلاف نفس، فيهم سليمان بن صرد»[١٤٣].

وهذا أيضاً ممّا يؤكّد اضطراب المؤرّخين من أهل السُنّة في هذا المقام، وسعيهم وراء تعتيم الأخبار وكتم الحقائق، ولو بالأكاذيب... فإنّ عسكر الإمام عليه السلام كان نحو مئة نفس فقط، ولم يكن سليمان فيهم...

خطبة ابن زياد بعد الإجراءات لحمل الناس على الخروج

ثمّ إنّ ابن زياد خطب الناس وقال: «أيّها الناس! إنّكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبّون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه، حسن السيرة، محمود الطريقة، محسناً إلى الرعيّة، يعطي

العطاء في حقّه، قد أمنت السبل على عهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده، يكرم العباد ويغنيهم بالأموال ويكرمهم، وقد زادكم في أرزاقكم مئة مئة، وأمرني أنْ أُوفّرها عليكم وأُخرجكم إلى حرب عدوّه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا»[١٤٤].

---

(١٤١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥ رقم ٦١.

(١٤٢) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٨ / ٦٦ رقم ٢٥١٣.

(١٤٣) الثقات ٣ / ١٦٠ ـ ١٦١.

(١٤٤) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٥.

«فلا يبقينّ رجل من العرفاء والمناكب والتجّار والسكّان إلاّ خرج فعسكر معي، فأيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمّة»[١٤٥].

قالوا: وكان ابن زياد إذا وجّه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير، بعث بعض رجاله في خيل إلى الكوفة، وأمره أن يطوف بها، فمن وجده قد تخلّف أتاه به[١٤٦].

تحقيق في الخارجين مع ابن زياد

وهنا تحقيقٌ في أحوال الخارجين مع ابن زياد ورجال جيش ابن سعد، وذلك: أنّ عدداً منهم قد التحق بالإمام عليه السلام واستشهد بين يديه، فالذي نظنّه أنّ هؤلاء على قسمين:

فمنهم: من كان مع ابن سعد وقد خرج لقتال الإمام عليه السلام، غير إنّه تاب وتحوّل إلى جيشه واستشهد معه... وهؤلاء جماعة، أشهرهم: الحرّ بن يزيد الرياحي.

ومنهم: جماعة لم يمكنهم الالتحاق بالإمام من أوّل الأمر، للإجراءات التي اتّخذها ابن زياد بالكوفة، فلم يجدوا سبيلا إلاّ الخروج مع ابن سعد، ولو تخلّفوا لأُخِذوا وقُتلوا، فكان خروجهم مع جيش العدوّ فرصةً للالتحاق بالإمام عليه السلام; وقد وقفنا على أسماء عدد من هؤلاء الّذين تمكّنوا من الوصول إلى الإمام عليه السلام:

● ففي ترجمة «القاسم بن حبيب بن أبي بشر الأزدي» ـ وكان فارساً من فرسان الشيعة في الكوفة ـ : «خرج مع ابن سعد، فلمّا صار في كربلاء مال إلى الحسين عليه السلام أيّام المهادنة، وما زال معه حتّى قُتل بين يديه في الحملة الأُولى»[١٤٧].

● وبترجمة «عمرو بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الضبعي التميمي»: «كان فارساً مقدَّماً في الحروب، خرج مع ابن سعد، ثمّ ازدلف إلى الإمام...»[١٤٨].

● وكذا بترجمة «عمرو بن عبدالله الهمداني الجندعي»[١٤٩].

● وكذا بترجمة «ضرغامة بن مالك»[١٥٠].

● وأوضح من الكلّ ما جاء بترجمة «الحلاس بن عمرو الأزدي الراسبي»: «كان على شرطة أمير المؤمنين في الكوفة، وكان هو وأخوه النعمان مع عمر بن سعد، ثمّ تحوّلا إلى معسكر الإمام ليلا»[١٥١].

---

(١٤٥) أنساب الأشراف ٣ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧، الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٩٩.

(١٤٦) انظر: الأخبار الطوال: ٢٥٢، بغية الطلب ٦ / ٢٦٢٦ ـ ٢٦٢٧.

(١٤٧) إبصار العين في أنصار الحسين: ١٨٦.

(١٤٨) انظر: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٨٥، إبصار العين في أنصار الحسين: ١٩٤.

(١٤٩) إبصار العين في أنصار الحسين: ١٣٦.

(١٥٠) إبصار العين في أنصار الحسين: ١٩٩.

● وما جاء بترجمة «مسعود بن الحجّاج التميمي» وابنه «عبدالرحمن»: «كانا من الشيعة المعروفين، خرجا إلى الحسين أيّام المهادنة، وكانا في بداية الأمر مع ابن سعد، فازدلفا إلى الإمام وقُتلا بين يديه...»[١٥٢].

وبما ذكرنا يظهر أنّ هناك قسماً آخر، وهم الّذين خرجوا مع ابن سعد قاصدين الالتحاق بالإمام عليه السلام كذلك، إلاّ أنّهم لم يوفَّقوا لذلك ولم يباشروا عملا ضدّ الإمام... واللّه العالم.

* * *

(١٥١) انظر: مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٢٢، إبصار العين في أنصار الحسين: ١٨٧.

(١٥٢) انظر: مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٢٢، إبصار العين في أنصار الحسين: ١٩٣ ـ ١٩٤.

الفصل الثامن

قادة جيش ابن زياد

قد عُلم ممّا تقدّم : أنّه لم يكن كلّ من كتب إلى الإمام بالقدوم شيعةً له، فقد كان فيهم الخوارج، وفيه من ليس من الشيعة، بل تبيّن فيما بعد كونه من الحزب الأُموي في الكوفة.

أمّا من كتب له من الشيعة، فمنهم من استشهد معه بكربلاء، ومنهم من اعتقل في قضية مسلم بن عقيل، أو طورد وشرّد قبل قدوم الإمام عليه السلام.

فأين هو الشيعي الذي كتب إليه بالقدوم ثمّ خرج لقتاله؟!

ويتجلّى هذا الذي توصّلنا إليه ويزداد وضوحاً، فيما إذا عرفنا قادة جيش ابن زياد في كربلاء، فإنّ قادتهم الكبار هم:

١ ـ عمر بن سعد:

فقد خرج إلى كربلاء في ٤٠٠٠ آلاف، كانوا قد أُعدّوا للخروج معه إلى الريّ، لقتال الديلم[١٥٣]، فلمّا جاء الإمام عليه السلام قال ابن زياد لعمر:

سِرْ إليه! فإذا فرغتَ سرتَ إلى عملك[١٥٤].

وروى ابن عساكر بإسناده عن شهاب بن خراش، عن رجل من قومه، قال: كنت في الجيش الذي بعثهم عبيدالله بن زياد إلى حسين بن عليّ، وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم، فصرفهم عبيدالله بن زياد إلى حسين بن عليّ، فلقيت حسيناً...»[١٥٥].

فكان هذا العدد من جيش ابن زياد معبّأً من قبل، ولا يخفى عدم وجود أحد من رجالات الشيعة فيه قطّ.

كما لا يخفى أنّ عمر بن سعد من عيون الحزب الأُموي في الكوفة، وهو ممّن كتب إلى يزيد يشكو النعمان بن بشير ويطلب منه استبداله بوال آخر، للوقوف أمام مسلم بن عقيل، وتقدّم أمره في البلد، بل كان معروفاً بين الناس بأنّه قاتل الحسين كما تقدّم[١٥٦].

---

(١٥٣) وهذا أيضاً من الأُمور الجديرة بالبحث والتحقيق; فإنّا نظنُّ أنّ إعداد هذا الجيش كان لحرب الإمام عليه السلام، وإنّما قيل للناس إنّه لقتال الديلم تغطيةً للواقع حتّى لا ينكشف، وتخديعاً للناس حتّى يجتمعوا.

(١٥٤) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣١٠ حوادث سنة ٦١ هـ الاستيعاب ١ / ٣٩٤، أنساب الأشراف ٣ / ٣٨٥، الأخبار الطوال: ٢٥٣، الفتوح ٥ / ٩٥، بغية الطلب ٦ / ٢٦١٥، روضة الواعظين ١ / ٤١١، لواعج الأشجان: ١٠٥.

(١٥٥) تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٥، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣١٠، الفتوح ٥ / ٩٢، أنساب الأشراف ٣ / ٣٨٥، الأخبار الطوال: ٢٥٤.

(١٥٦) انظر: الاستيعاب ١ / ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

٢ ـ الحصين بن نمير:

وكان في ٤٠٠٠، وكان صاحب شرطة ابن زياد[١٥٧].

وهو الذي أخذ قيس بن مسهر وبعث به إلى ابن زياد فاستشهد.

وهو الذي عهد إليه ابن زياد حراسة سكك الكوفة لئلاّ يخرج منها مسلم بن عقيل أو أحد من أصحابه... وقد تقدّم ذلك[١٥٨].

وهو الذي أرسله ابن زياد في ألف فارس يرصد الإمام ويسايره في الطريق، لئلاّ يسمع بخبر مسلم فيرجع ولا يُقتل[١٥٩].

وهو الذي قتل حبيب بن مظاهر الأسدي رحمه الله[١٦٠].

وهو الذي كان على الرماة، فلمّا رأى صبر أصحاب الإمام عليه السلام تقدّم إلى أصحابه ـ وكانوا خمسمئة نابل ـ أنْ يرشقوا أصحاب الإمام بالنبل، فرشقوهم، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وجرحوا الرجال وأَرْجَلُوهم واشتدّ القتال[١٦١]...

وهو الذي حمل عدداً من الرؤوس الشريفة إلى يزيد، «ثمّ أمر

يزيد بإحضار من أتى برأس الحسين ومن معه، ليسألهم كيف كان قتله، فحضروا بين يديه، فقال لابن ربعي: ويلك أنا أمرتك بقتل الحسين؟!

فقال: لا، لعن الله قاتله.

ولم يزالوا كذلك، إلى أنْ وصل السؤال إلى الحصين بن نمير، فقال مقالتهم، ثمّ قال: أتريد أنْ أُخبرك بمن قتله؟!

فقال: نعم.

قال: أعطني الأمان.

فقال: لك الأمان.

فقال: إعلم ـ أيّها الأمير ـ أنّ الذي عقد الرايات، ووضع الأموال، وجيّش الجيوش، وأرسل الكتب، وأوعد ووعد، هو الذي قتله!

فقال: من فعل ذلك؟!

فقال: أنت!

---

(١٥٧) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٨، روضة الواعظين ١ / ٤٠٥.

(١٥٨) تقدّم في الصفحات ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

(١٥٩) نور العين في مشهد الحسين: ٣١.

(١٦٠) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٧، مناقب آل أبي طالب ٤ / ١١٢، البداية والنهاية ٨ / ١٤٦.

(١٦١) انظر: الإرشاد ٢ / ٦٩.

فغضب منه ودخل منزله، ووضع الطشت الذي فيه رأس الحسين بين يديه وجعل يبكي ويلطم على وجهه ويقول: ما لي وللحسين؟!...»[١٦٢].

وهو الذي قاد الجيش لحرب ابن الزبير في الحرم، فنصب

المنجنيق فضرب به الكعبة، وكان ما كان ممّا هو مذكور في الكتب...[١٦٣].

ثمّ إنّ هذا الرجل قاد جيش الشام لمحاربة التوّابين، وكان أهل الشام نحواً من أربعين ألفاً، وفيهم: عبيدالله بن زياد، وفيهم من قتلة الحسين: عمير بن الحباب، وفرات بن سالم، ويزيد بن الحضين، وأُناس سوى هؤلاء كثير...[١٦٤].

فاستشهد في هذه المعركة: سليمان بن صرد والمسيَّب بن نجبة وكثير من أهل العراق، وقُتل من أهل الشام: ابنُ زياد والحصين بن نمير وشراحيل بن ذي الكلاع وآخرون.

هذا، والحصين بن نمير من أهل مدينة «حمص» بالشام، قال ابن حجر عن الكلبي: «إنّه كان شريفاً بحمص، وكذا وَلده يزيد وحفيده معاوية ابن يزيد، وَلِيا إمرةَ حمص»[١٦٥].

قلت: وأهل حمص في ذلك الزمان من النواصب..

قال ياقوت الحموي: «إنّ أشدّ الناس على عليّ رضي الله عنه بصِفّين مع معاوية كان أهل حمص، وأكثرهم تحريضاً عليه وجِدّاً في حربه»[١٦٦].

٣ ـ شبث بن ربعي:

وكان في ١٠٠٠.

وهذا الرجل وإنْ كان ممّن كاتب الإمام عليه السلام، إلاّ أنّه كان من الخوارج، المتعاملين مع حكومة بني أُميّة... نعم كان قبل ذلك ـ في زمن أمير المؤمنين ـ من الشيعة... وقد تقدّم بعض الكلام على حروريّته[١٦٧].

قالوا: ومات بالكوفة في حدود الثمانين[١٦٨].

٤ ـ حجّار بن أبجر:

جاء إلى كربلاء في ١٠٠٠.

وهذا الرجل وإن كان ممّن كاتب الإمام عليه السلام، فقد كان من غير الشيعة قطعاً... وقد ذكره علماء الرجال فلم يشيروا إلى شيء من أحواله.

---

(١٦٢) نور العين في مشهد الحسين: ٧٠; وقد تقدّم في الصفحتين ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(١٦٣) أنساب الأشراف ٥ / ٣٤٩، تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٠، تاريخ دمشق ١٤ / ٣٨٢ و ٣٨٧.

(١٦٤) الأخبار الطوال: ٢٩٣.

(١٦٥) الإصابة ٢ / ٩٢.

(١٦٦) معجم البلدان ٢ / ٣٤٩ رقم ٣٩١٤.

(١٦٧) راجع الصفحة ٣٢٥.

(١٦٨) تقريب التهذيب ١ / ٤١١ رقم ٢٧٤٣.

قال البخاري: «حجّار بن أبجر البكري، سمع عليّاً ومعاوية. روى عنه سماك. قال وكيع: العجلي يعدّ في الكوفيّين»[١٦٩].

وكذا قال ابن أبي حاتم، قال: «سمعت أبي يقول ذلك»[١٧٠].

هذا، وقد قام هذا الرجل في عشيرته ضدّ المختار ـ لمّا قام للطلب بثأر الإمام ـ في وقعة جبّانة السبيع[١٧١].

٥ ـ الحرّ بن يزيد الرياحي:

كان على رأس ١٠٠٠.

ولم يكن ممّن كاتب الإمام عليه السلام، وقصّته معه معروفة، تقدّم ذِكر طرف منها، فقد كان مأموراً بأن يأخذ الإمام في طريق ـ كما قال له ـ : «خذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردّك إلى الحجاز» حتّى يأتي رأي ابن زياد[١٧٢].

ثمّ جاءه كتاب ابن زياد أن لا يحلّ الإمامَ «إلاّ بالعراء، على غير خَمَر ولا ماء».

وتحوّله، ثمّ استشهاده بين يديه عليه السلام، عبرةٌ للمعتبرين.

٦ ـ شمر بن ذي الجوشن:

وكان في ٤٠٠٠[١٧٣].

وكان من أوّل أمره من أصحاب ابن زياد، وكان ممّن أمره بأنْ

يخذّلوا الناس عن مسلم، ويخوّفوهم الحرب، ويحذّروهم عقوبة السلطان[١٧٤].

وممّا يشهد بكونه من أوّل الأمر من أخصّ أصحاب ابن زياد: أنّ عبيدالله بن زياد بعثه فقال: «إذهب، فإنْ جاء حسين على حكمي وإلاّ فمُرْ عمر بن سعد أنْ يقاتلهم، فإنْ تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه، ثمّ أنت الأمير على الناس...»[١٧٥].

وروى ابن عساكر، بإسناده عن أبي إسحاق السبيعي: «كان شمر بن ذي الجوشن الضبابي لا يكاد أو لا يحضر الصلاة، فيجيء بعد الصلاة فيصلّي، ثمّ يقول: اللّهمّ اغفر لي، فإنّي كريم لم تلدني اللئام...»[١٧٦].

وفي رواية ابن حجر: «روى أبو بكر ابن عيّاش، عن أبي إسحاق، قال: كان شمر يصلّي معنا ثمّ يقول: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي شريف فاغفر لي.

---

(١٦٩) التاريخ الكبير ٣ / ١٣٠ رقم ٤٣٨.

(١٧٠) الجرح والتعديل ٣ / ٣١٢ رقم ١٣٨٨.

(١٧١) أنساب الأشراف ٦ / ٣٩٨.

(١٧٢) انظر مثلا: أنساب الأشراف ٣ / ٣٨١، الأخبار الطوال: ٢٥٠ ـ ٢٥١، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٦، المنتظم ٤ / ١٥١ ـ ١٥٢، البداية والنهاية ٨ / ١٣٨، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٧٨.

(١٧٣) بحار الأنوار ٤٤ / ٣١٥.

(١٧٤) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٤٩.

(١٧٥) البداية والنهاية ٨ / ١٤٠.

(١٧٦) تاريخ دمشق ٢٣ / ١٨٩.

قلت: كيف يغفر الله لك وقد أعنت على قتل ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟!

قال: ويحك! فكيف نصنع؟! إنّ أُمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم لكنّا شرّاً من هذه الحمر الشقاة!

قال ابن حجر: إنّ هذا لعذر قبيح، فإنّما الطاعة في المعروف»[١٧٧].

٧ و ٨ ـ قيس ومحمّد ابنا الأشعث بن قيس:

كانا من قادة جيش ابن زياد.

وكان محمّد في ١٠٠٠ فارس[١٧٨]... وكان هو وعبيدالله ابن عبّاس السلمي وبكر بن حمران... قد قاتلوا مسلم بن عقيل وألقوا القبض عليه[١٧٩].

ولم يُذكر اسمه في مَن كاتب الإمام، وإنّما هو أخوه: قيس، وهو ممّن ناشده الإمام عليه السلام يوم عاشوراء.

وقد اتّسمت هذه الأُسرة ببغض أهل البيت عليهم السلام، وصدرت منهم أنواع الأذى، فالأشعث بن قيس أبوهم من كبار الخوارج، وكان له ضلع في قتل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[١٨٠].

وابنته جعدة سمّت الإمام الحسن عليه السلام بإيعاز من معاوية[١٨١].

وابناه محمّد وقيس شاركا في قتل سيّدنا مسلم بن عقيل ومولانا سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

وقد ذكر ابن كثير، أنّه لمّا ناشد الإمام شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر وقيس بن الأشعث ويزيد بن الحارث... «قال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يؤذوك، ولا ترى منهم إلاّ ما تحبّ؟!

فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أنْ تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟! لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لهم إقرار العبيد»[١٨٢].

٩ ـ يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم:

وكان في ٢٠٠٠.

وكان هذا الرجل ممّن كتب إلى الإمام عليه السلام بالقدوم.

وهو ممّن ناشده الإمام يوم عاشوراء.

وعداده في الحزب الأُموي في الكوفة، وقد كان يتجسّس للحكومة هناك، مع عمر بن سعد وشبث بن ربعي، على سليمان بن صرد والمختار وجماعة الشيعة[١٨٣].

---

(١٧٧) لسان الميزان ٣ / ١٥٢ ـ ١٥٣ رقم ٥٤٦.

(١٧٨) بحار الأنوار ٤٤ / ٣١٥.

(١٧٩) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٥٢.

(١٨٠) انظر: الإرشاد ٢ / ٩٨.

(١٨١) راجع الصفحة ١٣٣ هـ ٢.

(١٨٢) البداية والنهاية ٨ / ١٤٣، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣١٩، المنتظم ٤ / ١٥٥.

١٠ ـ عمرو بن حريث:

ومن القادة: «عمرو بن حريث».

وهو الذي عقد له ابن زياد رايةً في الكوفة وأمّره على الناس[١٨٤].

وهو الذي صلب رُشيد الهجري على باب داره[١٨٥].

وبقي على ولائه لبني أُميّة حتّى كان خليفة ابن زياد على الكوفة[١٨٦].

١١ ـ عمرو بن الحجّاج:

ومن القادة: «عمرو بن الحجّاج الزبيدي».

وكان مِن جملة مَن كتب إلى الإمام عليه السلام بالقدوم.

وهو من رؤساء الحزب الأُموي بالكوفة.

وهو الذي خاطب جيش ابن زياد قائلا: «يا أهل الكوفة! إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام»[١٨٧].

وقد قاد هذا الرجل العسكر لاحتلال شاطئ الفرات وقطع الماء عن الإمام وأهل بيته عليهم السلام، حتّى إنّه خاطبه رافعاً صوته: «يا حسين! إنّ هذا الفرات تلغ فيه الكلاب، وتشرب منه الحمير والخنازير، واللّهِ لا تذوق منه جرعةً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم»[١٨٨].

وبقي الرجل على ولائة لبني أُميّة، حتّى حارب المختارَ بعد قيامه... ثمّ إنّه لاذ بالفرار، فروى البلاذري أنّه هرب فسقط من العطش، فلحقه أصحاب المختار وبه رمق، فذبحوه واحتزّوا رأسه[١٨٩].

١٢ ـ عزرة بن قيس:

ومن القادة «عزرة بن قيس».

كان على خيل أهل الكوفة[١٩٠].

ولمّا طلب منه ابن زياد أن يبعثه إلى الإمام عليه السلام أبى، معتذراً بأنّه ممّن كتب إليه بالقدوم[١٩١].

---

(١٨٣) انظر «أمر التوّابين» في أنساب الأشراف ٦ / ٣٦٧ و ٣٨١.

(١٨٤) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٥٢.

(١٨٥) لسان الميزان ٢ / ٤٦١ رقم ١٨٥٩ ترجمة رُشيد.

(١٨٦) أنساب الأشراف ٦ / ٣٧٦.

(١٨٧) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٤، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ١٥، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٥.

(١٨٨) انظر: أنساب الأشراف ٣ / ٣٩٠، تاريخ الطبري ٣ / ٣١١.

(١٨٩) أنساب الأشراف ٦ / ٤١٠.

(١٩٠) انظر: سفينة البحار ١ / ٦٨٢ مادّة «شبث».

(١٩١) انظر: الإرشاد ٢ / ٣٨، تاريخ الطبري ٣ / ٣١٠.

وهو أيضاً من رجال الحزب الأُموي بالكوفة.

وترجم له في «مختصر تاريخ دمشق»، وأنّه وَلي حُلوان في خلافة عمر، وغزا شهرزور منها فلم يفتحها[١٩٢].

أهل الشام في جيش ابن زياد

وبعد أن تبيّن أنّ الّذين قادوا عساكر ابن زياد لقتال الإمام عليه السلام هم رجال من الخوارج، وزعماء الحزب الأُموي في الكوفة...

فالذي يظهر من خلال النظر في الأخبار وتتبّع الكلمات: هو وجود رجال من أهل الشام في جيش ابن زياد في واقعة الطفّ...

وقد روى الشيخ الكليني بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام، عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من شهر المحرَّم، فقال: «تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي اللّه عنهم بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها، واستضعفوا فيه الحسين صلوات اللّه عليه وأصحابه رضي اللّه عنهم، وأيقنوا أنّه لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر، ولا يمدّه أهل العراق، بأبي المستضعَف الغريب...»[١٩٣].

وروى الشيخ ابن بابويه الصدوق القمّي بإسناده، قال: «ونظر

الحسين عليه السلام يميناً وشمالا ولا يرى أحداً، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللّهمّ إنّك ترى ما يُصنع بولد نبيّك.

وحال بنو كلاب بينه وبين الماء، ورُمي بسهم فوقع في نحره وخرّ عن فرسه، فأخذ السهم فرمى به وجعل يتلقّى الدم بكفّه، فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته وهو يقول: ألقى اللّه عزّ وجلّ وأنا مظلوم متلطّخ بدمي.

ثمّ خرّ على خدّه الأيسر صريعاً.

وأقبل عدوّ اللّه سنان بن أنس الإيادي وشمر بن ذي الجوشن العامري لعنهما اللّه في رجال من أهل الشام، حتّى وقفوا على رأس الحسين عليه لسلام...»[١٩٤].

وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام، عن صوم يوم عاشوراء، فقال: «ذاك يوم قُتل فيه الحسين عليه السلام، فإن كنتَ شامتاً فصم.

ثمّ قال: إنّ آل أُميّة عليهم لعنة اللّه ومن أعانهم على قتل الحسين من أهل الشام نذروا نذراً، إنْ قتل الحسين عليه السلام، وسلم من خرج إلى الحسين عليه السلام، وصارت الخلافة في آل أبي سفيان، أن يتّخذوا

ذلك اليوم عيداً لهم، وأن يصوموا فيه شكراً، ويفرّحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سُنّة إلى اليوم في الناس...»[١٩٥].

---

(١٩٢) مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ٣٣ رقم ٧.

(١٩٣) الكافي ٤ / ١٤٧ ح ٧.

(١٩٤) الأمالي ـ للشيخ الصدوق ـ : ٢٢٦ المجلس ٣٠.

(١٩٥) الأمالي ـ للشيخ الطوسي ـ : ٦٦٧ ح ١٣٩٧.

أقول:

أمّا «الحصين بن نمير» فقد تقدّم كونه من أهل حمص.

وأمّا من كان مع شمر، فهم خمسون من الرجّالة، ومنهم أبو الجنوب عبدالرحمن الجعفي، وترجمته في «بغية الطلب»[١٩٦].

وقد تقّدم سابقاً أنّه قد خرج مع عبيدالله ـ لقتال المختار في جيش الشام ـ رجالٌ من قتلة الحسين، منهم: عمير بن الحباب، وفرات بن سالم، ويزيد بن الحضين، وأُناس سوى هؤلاء كثير[١٩٧]; و «عمير بن حباب» من عشيرة أبي الأعور السلمي[١٩٨] صاحب معاوية، و «فرات بن سالم» الجزري، هو والد: نوفل بن فرات، ترجم له ابن منظور في «مختصر تاريخ دمشق»، فقال: «ثقة»[١٩٩]!

رجل من أهل الشام يقترح الأمان على عليّ بن الحسين عليه السلام

قال ابن سعد: «دعا رجلٌ من أهل الشام عليَّ بن حسين الأكبر ـ وأُمّه آمنة بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأُمّها بنت أبي سفيان بن حرب ـ فقال: إنّ لك بأمير المؤمنين قرابةً ورحماً، فإنْ شئت آمنّاك وامض حيث ما أحببت.

فقال: أمَا واللّه لَقرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كانت أَوْلى أن تُرعى من قرابة أبي سفيان; ثمّ كرّ عليه وهو يقول:

أنا عليُّ بن حسين بن علي *** نحن وبيت اللّه أَوْلى بالنبي

من شمر وعمر وابن الدعي»[٢٠٠]

وعبدالرحمن بن أَبْزى

وكان في جيش يزيد: عبدالرحمن بن أبزى.

ذكره غير واحد في الصحابة، روى عنه أصحاب الصحاح الستّة، قال المزّي: «سكن الكوفة واستُعمل عليها»[٢٠١]، لكنْ في «الأخبار الطوال» ما هو ظاهر في كونه من أهل الشام، وكان ممّن حضر قتال الإمام عليه السلام بكربلاء، إلاّ أنّه ادّعى

---

(١٩٦) انظر: بغية الطلب ١٠ / ٤٣٨٠.

(١٩٧) الأخبار الطوال: ٢٩٣.

(١٩٨) أنساب الأشراف ١٣ / ٣٣١.

(١٩٩) مختصر تاريخ دمشق ٢٠ / ٢٦١ رقم ٩٥.

(٢٠٠) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٣٩، وانظر: نسب قريش: ٥٧.

(٢٠١) تهذيب الكمال ١١ / ٩٠ رقم ٣٧٣١.

أنّه لم يقاتل، بل أتى الكوفة

في حاجة[٢٠٢].

وآخرون من أهل الشام بكربلاء

وقال بعض المحقّقين ـ بعد نقل رواية الشيخ الكليني المتقدّمة[٢٠٣] ـ: «الرواية صريحة في اجتماع أهل الشام في كربلاء، وسنذكر في ترجمة مسلم بن عقيل أنّ في صبيحة يوم شهادته ـ وهو التاسع من ذي الحجّة ـ ورد الكوفة عشرة آلاف من جند أهل الشام، ذكره الطبري وغيره...

فمن أنكر وجود جنود من الشام، فهو من عدم علمه بالتاريخ.

بل في (المناقب) أنّ خيل شمر بن ذي الجوشن ـ وهم أربعة آلاف ـ كلّهم شاميّون[٢٠٤].

وفي الأربعين الحسينيّة ـ تأليف الفاضل المعاصر المحدّث القمّي قدّس سرّه ـ: رأيت في بعض كتب الأنساب أنّ خيل الشام لمّا ورد كربلاء جاؤوا بأمان من يزيد بن معاوية لعليّ بن الحسين عليه السلام...»[٢٠٥].

أهل مصر وأهل اليمن في جيش ابن زياد

هذا، وقد تقدّم أنّ عمر بن سعد قاد ٤٠٠٠ رجلا لقتال الديلم، فتوجّهوا إلى حرب الإمام..

قال المحبّ الطبري: «وما نُقل من أنّ عمر بن سعد بن أبي وقّاص قتله، فلا يصحّ، وسبب نسبته إليه أنّه كان أمير الخيل التي أخرجها عبيدالله بن زياد لقتاله، ووعده إنْ ظفر أن يولّيه الريّ، وكان في تلك الخيل ـ والله أعلم ـ قوم من أهل مصر وأهل اليمن»[٢٠٦].

العثمانيّون في جيش ابن زياد

ثمّ إنّ في كلمات غير واحد من رجال جيش ابن زياد في يوم العاشر من المحرّم، الثناء البالغ والترحّم الصريح على عثمان بن عفّان، بل أعلن بعضهم بأنّه على «دين عثمان»!! بل إنّ بعضهم قد باهل على ذلك!!:

روى الطبري، عن عفيف بن زهير بن أبي الأخنس، قال: «وخرج يزيد بن معقل ـ من بني عميرة بن ربيعة، وهو حليفٌ لبني سليمة، من عبدالقيس ـ فقال: يا بُرير بن حضير! كيف ترى صُنع الله بك؟!

قال: صَنَعَ اللهُ ـ واللهِ ـ بي خيراً وصَنَعَ الله بك شرّاً.

قال: كذبتَ، وقبل اليوم ما كنت كذّاباً، هل تذكر ـ وأنا أُماشيك في بني لوذان ـ وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفّان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية بن أبي سفيان ضالٌّ مضلٌّ، وإنّ إمامَ الهدى والحقّ عليُّ بن أبي طالب؟!

---

(٢٠٢) الأخبار الطوال: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢٠٣) تقدّمت في الصفحتين ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٢٠٤) مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٠٧.

(٢٠٥) الإمام الحسين وأصحابه ـ للشيخ فضل علي القزويني ـ ١ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢٠٦) ذخائر العقبى: ٢٥٠.

فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي.

فقال له يزيد بن معقل: فإنّي أشهد أنّك من الضالّين.

فقال له برير بن حضير: هل لك فلأُباهلك، ولندع اللّه أنْ يلعن الكاذب وأنْ يقتل المبطل، ثمّ اخرج فلأُبارزك.

قال: فخرجا، فرفعا أيديهما إلى اللّه يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقُّ المبطلَ، ثمّ برز كلّ واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بن معقل برير بن حضير ضربةً خفيفةً لم تضرّه شيئاً، وضربه برير بن حضير ضربةً قدّت المغفر وبلغت الدماغ، فخرّ كأنّما هوى من حالق، وإنّ سيف ابن حضير لثابت في رأسه، فكأنّي أنظر إليه ينضنضه من رأسه[٢٠٧].

أقول:

وفي هذا الخبر فوائد لا تخفى، فإنّ بريراً كان يرى أنّ عثمان ومعاوية ضالّان، وكان رأي معقل أنّهما على حقّ، وأنّ بريراً ضالٌّ، وقضيّة المباهلة وانتصار برير على عدوّه، ثمّ تصريح قاتل برير بأنّ أصحاب الحسين عليه السلام ليس دينهم دينه، فهو كان على دين ابن حرب ومطيع للخليفة يزيد!!

وروى الطبري: «إنّ نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول:

أنا الجملي، أنا على دين علي

فخرج إليه رجل يقال له: مزاحم بن حريث، فقال: أنا على دين عثمان.

فقال له: أنت على دين شيطان.

ثمّ حمل عليه فقتله»[٢٠٨].

وقد ذكر ابن الأثير الخبرَ فلم يذكر مقالة الرجل[٢٠٩]!!

ثمّ انظر إلى كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد في أوّل الأمر: «أمّا بعد، فَخُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفّان»[٢١٠].

وإلى كلام عمرو بن سعيد الأشدق ـ الوالي على المدينة ـ : عن

عبدالملك بن أبي الحارث السلمي، قال: «دخلت على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟

فقلت: ما سَرَّ الأمير، قتل الحسين بن عليّ.

فقال: نادِ بقتله.

فناديت بقتله، فلم أسمع واللّه واعيةً قطّ مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنّ على الحسين.

فقال عمرو بن سعيد ـ وضحك ـ :

---

(٢٠٧) تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ حوادث سنة ٦١ هـ.

(٢٠٨) تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٤، وانظر: مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ١٨.

(٢٠٩) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٢٦.

(٢١٠) تاريخ الطبري ٣ / ٣١١.

عجّتْ نساءُ بني زياد عجّةً *** كعجيجِ نسوتِنا غداةَ الأرنبِ

ثمّ قال عمرو: هذه واعيةٌ بواعيةِ عثمان بن عفّان»[٢١١].

بقي أن نشير إلى خطب وكلمات

١ ـ خرج الإمام عليه السلام يوم عاشوراء حتّى أتى الناس فقال لهم:

«تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً... فهلاّ ـ لكم الويلات ـ إذ كرهتمونا تركتمونا، فتجهّزتموها والسيف لم يُشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبا، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنّما أنتم من طواغيت الأُمّة، وشذّاذ الأحزاب،

ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمّة المستهزئين، الّذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابنَ حرب وأشياعه تعتمدون، وإيّانا تخذلون.

أجل والله الخذلُ فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أُصولكم وفروعكم، ونبتت عليه قلوبكم، وغشيت به صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب وأكلةً للغاصب.

ألا لعنة الله على الناكثين، الّذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، فأنتم والله هم»[٢١٢].

٢ ـ سألهم: «لم تقتلوني» ـ أو: «تقاتلوني» ـ ؟!

قالوا: نقتلك بغضاً منّا لأبيك.

فعند ذلك غضب الإمام غضباً شديداً وجعل يقول:

خيرة الله من الخلق أبي *** بعد جدّي وأنا ابن الخيرتين

والدي شمس وأُمّي قمرٌ *** وأنا الكوكب وابن النيّرين

فضّةٌ قد صيغت من ذهب *** وأنا الفضّة وابن الذهبين

من له جدّ كجدّي المصطفى *** أو كأُمّي في جميع الثقلين

فاطم الزهراء أُمّي وأبي *** فارس الخيل ورامي النبلتين

هازم الأبطال في هيجائه *** يوم بدر ثمّ أُحْد وحنين[٢١٣]

٣ ـ صاح بهم الإمام عليه السلام:

«ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إنْ لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عُرباً كما تزعمون»[٢١٤].

---

(٢١١) تاريخ الطبري ٣ / ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢١٢) مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٩، وانظر: تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٨ ـ ٢١٩، بحار الأنوار ٤٥ / ٨ ـ ٩.

(٢١٣) نور العين في مشهد الحسين: ٤٧، وانظر: مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٣٧.

(٢١٤) انظر: الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ١٣٤، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٣٨، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣١.

قضايا تؤكّد على كونهم شيعة آل أبي سفيان

لقد صاح بهم الإمام عليه السلام بهذا الكلام لمّا قصدوا حرق الخيام ونهب ما فيها وإرعاب النساء وقتل الأطفال... وقد فعلوا كلّ ذلك..

● قال ابن الأثير: «فلمّا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجّالة كلّهم، وقاتل الحرّ بن يزيد راجلا قتالا شديداً، فقاتلوهم إلى أن انتصف النهار أشدّ قتال خلقه اللّه، لا يقدرون أن يأتوهم إلاّ من وجه واحد لاجتماع مضاربهم.

فلمّا رأى ذلك عمر أرسل رجالا يقوّضون البيوت عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم، فكان النفر من أصحاب الحسين الثلاثة والأربعة يتخلّلون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوّض وينهب، ويرمونه من قريب، أو يعقرونه، فأمر بها عمر ابن سعد فأُحرقت، فقال لهم الحسين: دعوهم فليحرقوها، فإنّهم إذا أحرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا إليكم منها; فكان كذلك.

وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها ، فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه وتقول: هنيئاً لك الجنّة! فأمر شمر غلاماً اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فشدخه، فماتت مكانها.

وحمل شمر حتّى بلغ فسطاط الحسين ونادى: علَيَّ بالنار حتّى أُحرق هذا البيت على أهله!

فصاحت النساء وخرجن، وصاح به الحسين: أنت تحرق بيتي على أهلي؟! أحرقك اللّه بالنار!

فقال حميد بن مسلم لشمر: إن هذا لا يصلح، تعذّب بعذاب اللّه، وتقتل الولدان والنساء، واللّه إنّ في قتل الرجال لَما يرضى به أميرك!

فلم يقبل منه، فجاءه شبث بن ربعي فنهاه فانتهى، وذهب لينصرف...»[٢١٥].

● وفي رواية الطبري: قال له شبث: «ما رأيت مقالا أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك، أمرعباً للنساء صرت؟!

قال: فأشهد أنّه استحيا فذهب لينصرف»[٢١٦].

● وفي رواية ابن الجوزي: «جاء سهم فأصاب ابناً للحسين وهو في حجره، فجعل يمسح الدم عنه وهو يقول: اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا; فحمل شمر ابن ذي الجوشن حتّى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى: علَيَّ بالنار حتّى أُحرق هذا البيت على أهله!

فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، وصاح به الحسين عليه السلام: حرّقك اللّه بالنار»[٢١٧].

---

(٢١٥) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٢١٦) تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٦.

(٢١٧) المنتظم ٤ / ١٥٥ ـ ١٥٦.

● وقال البلاذري: «... فرشقوا الحسين وأصحابه بالنبل حتّى عقروا خيولهم، فصاروا رجّالة كلّهم، واقتتلوا نصف النهار أشدّ قتال وأبرحه، وجعلوا لا يقدرون على إتيانهم إلاّ من وجه واحد; لاجتماع أبنيتهم وتقاربها، ولمكان النار التي أوقدوها خلفهم.

وأمر عمر بتخريق أبنيتهم وبيوتهم، فأخذوا يخرقونها برماحهم وسيوفهم، وحمل شمر في الميسرة حتّى طعن فسطاط الحسين برمحه

ونادى: علَيَّ بالنار حتّى أُحرق هذا البيت على أهله.

فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط، فقال الحسين: ويحك! أتدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي؟!

وقال شبث بن ربعي: يا سبحان اللّه! ما رأيت موقفاً أسوأ من موقفك، ولا قولا أقبح من قولك!

فاستحيا شمر منه»[٢١٨].

● وذكر النويري نحو ما تقدّم عن ابن الأثير[٢١٩].

ففي هذه الأخبار:

١ ـ قتلهم طفلا للإمام في حجره.

٢ ـ حرقهم الخيام.

٣ ـ إرعابهم النساء.

٤ ـ قتلهم المرأة الكلبيّة.

٥ ـ نهبهم ثَقَل الإمام عليه السلام...

نتائج البحث

فهل يرى الباحث الخبير أنّ هذه القضايا إنّما وقعت صدفةً؟!

وهل أنّ والي المدينة لم يلحّ على الإمام عليه السلام بالبيعة، ثمّ حمد اللّه على خروجه، كان ذلك من عند نفسه؟!

وهل أنّ والي مكّة الذي لم يتعرّض للإمام، بل لم يهدّده علناً، وإنّما دسّ إليه الرجال فقط، كان ذلك منه عن اختيار؟!

وهل أنّ والي الكوفة لمّا تسامح مع مسلم وشيعته لم يكن من قصده انكشاف حال مسلم ومعرفة أصحابه، وقد كان ـ كما قال البلاذري ـ عثمانياً مجاهراً ببغض عليّ، ويسيء القول فيه، وهو ممّن أغار على بعض البلاد التابعة لحكومة الإمام عليّ عليه السلام؟!

---

(٢١٨) أنساب الأشراف ٣ / ٤٠٢.

(٢١٩) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٤٥١٨.

وكيف أنّ معاوية كان يداري الإمام عليه السلام، ويخبر عن مقتله في العراق على يد أهل الكوفة، وقد أوصى بتولية ابن زياد عليها في الوقت المناسب؟!

إنّ للباحث أن يستنتج أنّ هناك خطّة مرسومة من معاوية وأعوانه في الحجاز، بالتواطؤ مع أنصاره في الكوفة، بأنْ يدعى الإمام عليه السلام من قِبل أهل الكوفة، ويضيّق عليه ويُطارد من داخل الحجاز من قِبل عمّال بني أُميّة، حتّى يُقبل نحو الكوفة، فيحاصَر في الطريق، فلا يصل إلى الكوفة ولا يرجع إلى الحجاز، بل يُقتل في الفلاة.

وهذا ما رواه في «بحار الأنوار» عن تاريخ الريّاشي، بإسناده عن راوي حديثه، قال: «حججت فتركت أصحابي وانطلقت أتعسّف الطريق وحدي، فبينما أنا أسير، إذ رفعت طرفي إلى أخبية وفساطيط، فانطلقت نحوها، حتّى أتيت أدناها، فقلت: لمن هذه الأبنية؟

فقالوا: للحسين.

قلت: ابن عليّ وابن فاطمة؟

قالوا: نعم.

قلت: في أيّها هو؟

قالوا: في ذلك الفسطاط.

فانطلقت، فإذا الحسين متّك على باب الفسطاط يقرأ كتاباً بين يديه، فسلَّمت فردَّ عليَّ، فقلت: يا ابن رسول اللّٰه! بأبي أنت وأُمّي، ما أنزلك في هذه الأرض القفراء التي ليس فيها ريف ولا منعة؟!

قال: إنّ هؤلاء أخافوني، وهذه كتب أهل الكوفة، وهُمْ قاتليّ، فإذا فعلوا ذلك ولم يَدَعُوا للّٰه محرّماً إلاّ انتهكوه، بعث اللّٰه إليهم من يقتلهم، حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأَمَة»[٢٢٠].

فتأمّل في عبارة: «إنّ هؤلاء أخافوني»، يعني: حكومة الحجاز، و«هذه كتب أهل الكوفة، وهم قاتليّ»!!

ولذا، فقد ورد عن الإمام عليه السلام أنّه لمّا ورد أرض كربلاء[٢٢١]، كان أوّل كلامه: «اللّهمّ إنّا عترة نبيّك محمّد وقد أُخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن حرم جدّنا...»[٢٢٢].

وقد جاء هذا بعينه في ما كتبه ابن عبّاس إلى يزيد: «وما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناس اطّرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول اللّٰه إلى حرم اللّٰه، ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم اللّٰه إلى الكوفة...»[٢٢٣].

ثمّ عرفنا الّذين باشروا قتل الإمام عليه السلام، فلم نجد فيهم أحداً من الشيعة أبداً، بل إنّ شيعته منهم من قضى نحبه مع مسلم بن عقيل، ومنهم من استشهد قبل عاشوراء في تصفية ابن زياد الشيعة في الكوفة، ومنهم من سُجن... والكلام كلّه على وجوه الشيعة ورجالها في الكوفة وليس على السواد الأعظم، كما هو واضح.

---

(٢٢٠) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٦٨، وانظر: بغية الطلب ٦ / ٢٦١٦.

(٢٢١) وروى ابن أعثم الكوفي أنّه عليه السلام قاله قبل الورود إلى كربلاء; انظر: الفتوح ٥ / ٩٣.

(٢٢٢) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٣.

(٢٢٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٣.

ويقع الكلام بعد ذلك على دور علماء السوء في تسويغ ما وقع، والدفاع عن معاوية ويزيد وأتباعهما...

الحلقة الثالثة

دور علماء السوء

في فصول:

ثمّ جاء دور العلماء...

لقد رأينا كيف أنّ بعض الصحابة والتابعين حضروا قتل ريحانة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، ونفّذوا أوامر يزيد، وكانوا يده في إبادة ذرّيّة النبيّ وسبي عيالاته من بلد إلى بلد...

وسنرى في بعض الكلمات الاستناد إلى موقف بعضهم ـ كعبد اللّٰه بن عمر ـ في إضفاء صبغة الشرعية لولاية يزيد، التي دعا إليها معاوية، وبذل الجهود المختلفة اللامشروعة حتّى تمكّن من حمل الناس على البيعة له، كما عرفت سابقاً...

والكلام الآن... على دور العلماء النواصب، ورجال البلاطَين الأُموي والعبّاسي وأنصار المنافقين... الّذين حاولوا الدفاع عن معاوية ويزيد وأرادوا تسويغ ما وقع...

فمحطّ النظر هو كلمات العلماء الكبار السابقين، وأمّا أقاويل المتأخّرين والمعاصرين، فلا نعبأ بها; لكونهم مقلّدين لأسلافهم المعاندين.

وسيكون بحثنا في فصول:

الفصل الأوّل

في وضع الأحاديث

لقد وضعوا أحاديث في فضل معاوية ويزيد، وفي فضل صوم يوم عاشوراء، وهو يومٌ قتل فيه سبط رسول اللّه وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة أبو عبداللّه الحسين وأصحابه!

اتّخاذ النواصب يوم عاشوراء عيداً

أخرج البخاري، عن ابن عبّاس، قال: «قدم النبي صلّى اللّه عليه وسلّم المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى اللّه بني إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى. قال: فأنا أحقّ بموسى منكم; فصامه وأمر بصيامه»[٢٢٤].

وأخرج مسلم، عن ابن عبّاس، أنّه قال لهم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى اللّه فيه موسى وقومه وغرّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: فنحن أحقّ وأَوْلى بموسى منكم; فصامه
رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وأمر بصيامه»[٢٢٥].

وأخرج مسلم، عن أبي موسى، قال: «كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء، يتّخذونه عيداً، ويُلبسون نساءهم فيه حليّهم وشارتهم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: فصوموه أنتم»[٢٢٦].

فقال ابن الجوزي: «قد تمذهب قوم من الجهّال بمذهب أهل السُنّة، فقصدوا غيظ الرافضة، فوضعوا أحاديث في فضل عاشوراء، ونحن برآء من الفريقين...»[٢٢٧].

وقال ابن تيميّة: «وبيّنّا أنّ كلّ ما يفعل فيه ـ سوى الصوم ـ بدعة مكروهة، لم يستحبّها أحد من الأئمّة، مثل الاكتحال والخضاب وطبخ الحبوب وأكل لحم الأضحية والتوسيع في النفقة وغير ذلك، وأصل هذا من ابتداع قتلة الحسين ونحوهم»[٢٢٨].

وقال ابن كثير: «وقد عاكس الرافضةَ والشيعةَ يوم عاشوراء النواصبُ من أهل الشام، فكانوا يوم عاشوراء يطبخون الحبوب

---

(٢٢٤) صحيح البخاري ٣ / ٩٦ ح ١١١، وانظر: شرح معاني الآثار ٢ / ٧٥، السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ ٤ / ٢٨٦ ح ٤٧٣، السنن الكبرى ـ للنسائي ـ ٢ / ١٥٦ ح ٢٨٣٤.

(٢٢٥) صحيح مسلم ٣ / ١٥٠، وانظر: فتح الباري ٤ / ٣٠٦ ح ٢٠٠٤، شرح السُنّة ـ للبغوي ـ ٤ / ١٩٤ ح ١٧٨٢.

(٢٢٦) صحيح مسلم ٣ / ١٥٠.

(٢٢٧) الموضوعات ٢ / ١٩٩.

(٢٢٨) منهاج السُنّة ٨ / ١٥١.

ويغتسلون ويتطيّبون ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتّخذون ذلك اليوم عيداً، يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح»[٢٢٩].

وقال العيني: « النوع السادس: ما ورد في صلاة ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء، وفي فضل الكحل يوم عاشوراء، لا يصحّ، ومن ذلك حديث جويبر عن ابن عبّاس... وهو حديث موضوع، وضعه قتلة الحسين رضي اللّٰه تعالى عنه.

وقال الإمام أحمد: والاكتحال يوم عاشوراء لم يُرو عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم فيه أثرٌ، وهو بدعة»[٢٣٠].

لكنّ بعض علماء القوم، كالسيوطي، يرتؤون صحّة هذه الأحاديث... مع أنّهم لا يُعَدُّون في النواصب، فالذي نراه أنّ ذلك من أجل الدفاع عن كتابَي البخاري ومسلم الموسومين بالصحيحين، وعن سائر كتبهم الراوية لمثل هذه الأحاديث، أخذاً بسُنّة اليهود!!

هذا، ومن العجيب أنّهم لم يكتفوا بهذا حتّى وضعوا ذلك في الحيوانات، فقد روى الدميري عن «المعجم» لعبد الغني بن قانع، عن أبي غليظ أُميّة بن خلف الجمحي، قال: «رآني رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه

وسلّم وعلى يدي صرد، فقال صلّى اللّٰه عليه وسلّم: هذا أوّل طير صام. ويروى: إنّه أوّل طير صام يوم عاشوراء، وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى.

قال الدميري: والحديث مثل اسمه غليظ.

قال الحاكم: وهو من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين رضي اللّٰه عنه...

وهو حديث باطل، ورواته مجهولون»[٢٣١].

حديثٌ في مدح يزيد ! !

كالحديث في مدح يزيد... ذكره غير واحد منهم، كابن تيميّة والذهبي، وهو حديث غزو القسطنطينيّة:

قال ابن تيميّة مدافعاً عن يزيد: «وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عمر، عن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم، قال: أوّل جيش يغزو القسطنطينيّة مغفور لهم. وأوّل جيش غزاها كان أميرهم يزيد...»[٢٣٢].

أقول:

قد قال محقّق «منهاج السُنّة»: «لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن وجدت عن عبادة بن الصامت الحديث في البخاري ٤ / ٤٢ ـ كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم ـ ونصّ الحديث: أوّل جيش من أُمّتي يغزون البحر قد

---

(٢٢٩) البداية والنهاية ٨ / ١٦٢.

(٢٣٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١ / ١١٨ ذ ح ١٠٦.

(٢٣١) حياة الحيوان الكبرى ـ للدميري ـ ٢ / ٦١ ـ ٦٢ مادّة «صُرَدْ»، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١ / ١١٨ ذ ح ١٠٦.

(٢٣٢) منهاج السُنّة ٤ / ٥٧١ ـ ٥٧٢.

أوجبوا. قالت أُمّ حرام: قلت يا رسول اللّٰه! أنا فيهم؟ قال: أنتِ فيهم. ثمّ قال النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم: أوّل جيش من أُمّتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول اللّٰه؟ قال: لا»[٢٣٣].

ثمّ الكلام أوّلا: في وجود يزيد في ذلك الجيش، وكونه أميراً عليه.

وثانياً: في شمول الحديث ليزيد على فرض كونه فيه.

ففي حين يذكر الطبري وجود يزيد في الجيش المذكور، وكونه قائداً له[٢٣٤]، يروي ابن الأثير: إنّ معاوية سيَّر جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفيان بن عوف، وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أُبالي بما لاقت جموعهم *** بالفرقدونة من حمّى ومن مومِ

إذا اتّكأت على الأنماط مرتفقاً *** بدير مرّان عندي أُمّ كلثومِ

وأُمّ كلثوم امرأته، وهي ابنة عبداللّٰه بن عامر.

فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان في أرض الروم، ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عبّاس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهم، وعبدالعزيز بن زرارة الكلابي...

ثمّ رجع يزيد والجيش إلى الشام، وقد توفّي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينيّة، فدفن بالقرب من سورها»[٢٣٥].

وعلى فرض وجوده فيه، فلا دلالة للحديث على كونه مغفوراً له..

قال المناوي بشرحه ما نصّه: «لا يلزم منه كون يزيد بن معاوية مغفوراً له لكونه منهم; إذ الغفران مشروط بكون الإنسان من أهل المغفرة، ويزيد ليس كذلك، لخروجه بدليل خاصّ.

ويلزم من الجمود على العموم، أنّ من ارتدّ ممّن غزاها مغفور له.

وقد أطلق جمع محقّقون حلّ لعن يزيد به، حتّى قال التفتازاني: الحقّ أنّ رضا يزيد بقتل الحسين وإهانته أهل البيت، ممّا تواتر معناه وإنْ

كان تفاصيله آحاداً، فنحن لا نتوقّف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة اللّٰه عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

قال الزين العراقي: وقوله: (بل في إيمانه)، أي: بل لا يُتوقّف في عدم إيمانه; بقرينة ما قبله وما بعده»[٢٣٦].

---

(٢٣٣) منهاج السُنّة ٤ / ٥٧٢، وانظر: صحيح البخاري ٤ / ١١٤ ح ١٣٥.

(٢٣٤) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٦ حوادث سنة ٤٩ هـ

(٢٣٥) الكامل في التاريخ ٣ / ٣١٤ و ٣١٥ حوادث سنة ٤٩ هـ

(٢٣٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣ / ١٠٩ ح ٢٨١١.

هذا، ومن أعاجيب الأكاذيب ما جاء في «تاريخ دمشق» بترجمة الإمام عليه السلام، من أنّه «وفد على معاوية، وتوجّه غازياً إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية»[٢٣٧]!

بل إنّ مثل هذا الكلام الباطل، الذي أرسله ابن عساكر بلا سند، يصلح لأنْ يكون قرينةً أُخرى على كذب أصل الدعوى.

لم يصحّ في فضل معاوية شيءٌ

وبصورة عامّة ... هل صحّ في فضل معاوية شيء عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم من طريق القوم؟

لقد نصَّ غير واحد من كبار حفّاظهم المتقدّين على أنّه لم يصحّ عن رسول اللّٰه في فضله شيءٌ..

قال البخاري: «باب فضائل أصحاب النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله»[٢٣٨]فذكرهم، حتّى إذا وصل إلى معاوية قال: «باب ذِكر معاوية»[٢٣٩]..

فقال الحافظ بشرحه: «تنبيه: عبّر البخاري في هذه الترجمة بقوله: (ذِكر)، ولم يقل: (فضيلة) ولا (منقبة)»; لأنّ شيخه إسحاق بن راهويه قد نصَّ على أنّه لم يصحّ في فضائل معاوية شيء.

ثمّ أشار ابن حجر إلى قصّة النسائي وقصّة الحاكم، وذكر أنّ ابن الجوزي أورد في كتاب «الموضوعات» جملةً ممّا وُضع لمعاوية، ثمّ قال: «وأخرج ابن الجوزي ـ أيضاً ـ من طريق عبداللّٰه بن أحمد بن حنبل: سألت أبي: ما تقول في عليّ ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: اعلم أنّ عليّاً كان كثير الأعداء، ففتّش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيداً منهم لعليّ».

قال ابن حجر: «فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكنْ ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما»[٢٤٠].

وقال النسائي مستنكراً ما روي من فضائل معاوية: «أمَا يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتّى يروى له فضائل؟!»[٢٤١].

وقال ابن تيميّة: «طائفة وضعوا لمعاوية فضائل، ورووا أحاديث عن النبيّ صلّيغ اللّٰه عليه وسلّم في ذلك كلّها كذب»[٢٤٢].

وقال العجلوني: «باب فضائل معاوية ليس فيه حديث صحيح»[٢٤٣].

---

(٢٣٧) تاريخ دمشق ١٤ / ١١١.

(٢٣٨) صحيح البخاري ٥ / ٦٢.

(٢٣٩) صحيح البخاري ٥ / ١٠٥.

(٢٤٠) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ / ١٣١ ب ٢٨ ذ ح ٣٧٦٦.

(٢٤١) البداية والنهاية ١ / ١٠٤ حوادث سنة ٣٠٣ هـ

(٢٤٢) منهاج السُنّة ٤ / ٤٠٠.

وقال العيني: ليس فيها حديث يصحّ من طريق الإسناد»[٢٤٤].

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: «لا يصحّ في فضل معاوية حديث»[٢٤٥].

* * *

(٢٤٣) كشف الخفاء ٢ / ٤٢٠.

(٢٤٤) عمدة القاري ١٦ / ٢٤٩ ح ٢٥٤.

(٢٤٥) الفوائد المجموعة: ٤٠٧ ح ١٥٥، اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٨٨.

الفصل الثاني

في الأكاذيب والتحريفات

ومن أساليبهم في الدفاع عن يزيد: الكذب والتحريف للوقائع والأقوال... نذكر ها هنا بعضها على سبيل التمثيل بالإجمال:

١ ـ ندم الإمام عليه السلام ! !

لقد جاء في المصادر المعتبرة لدى الشيعة والسُنّة قول الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام: «لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل...»[٢٤٦]، ومن رواته: ابن الجوزي في «المنتظم»، وابن كثير في «البداية والنهاية».

وحتّى الّذين خرجوا لقتاله اعترفوا بذلك، فمثلا: يقول زحر بن قيس ليزيد: «فسألناهم أن يستسلموا، أو ينزلوا على حكم الأمير عبيدالله بن زياد، أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام»[٢٤٧].

وقد تقدّم ـ أيضاً ـ ما رواه الليث بن سعد، من أنّ الإمام أبى الاستسلام[٢٤٨].

فكلّ ما يكون على خلاف هذا فهو كذب..

كالخبر الذي في «مقاتل الطالبيّين»: «فذكر مَن حضره يوم قُتل وهو يلتفت إلى حرمه وإخوته وهنّ يخرجن من أخبيتهنّ جزعاً لقتل من يقتل معه وما يرينه به، ويقول: لله درّ ابن عبّاس في ما أشار علَيَّ به[٢٤٩]. يعني: منعه من الخروج إلى العراق.

فمَن هذا الرجل الثقة الذي كان حاضراً عند الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ـ وهو بين أهله وحريمه ـ فسمع منه هذا الكلام، ونقله إلى بني أُميّة ولا علم لأهل البيت بذلك أصلا؟!

وفي «الصواعق»، عن الإمام الحسن عليه السلام، أنّه قال له: «إيّاك وسفهاء الكوفة أن يستخفّوك، فيخرجوك ويسلموك، فتندم ولات حين مناص» قال: «وقد تذكّر ذلك ليلة قتله، فترحّم على أخيه الحسن»[٢٥٠].

فمَن هو الراوي لنصيحة الإمام الحسن عليه السلام هذه؟!

وعلى مَن اعتمد ابن حجر في قوله: «وقد تذكّر ذلك...»؟!

---

(٢٤٦) راجع الصفحة ٣٧٧ هـ ١.

(٢٤٧) الإرشاد ٢ / ١١٨، وانظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٤٧، تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٨، تاريخ دمشق ١٨ / ٤٤٥، البداية والنهاية ٨ / ١٥٣.

(٢٤٨) تقدّم في الصفحة ٢١٨.

(٢٤٩) مقاتل الطالبيّين: ١١٠.

(٢٥٠) الصواعق المحرقة: ٢٩٨.

وقد سبق ابنُ تيميّة في الافتراء على الإمام الحسن عليه السلام في أنّه نصح أباه أمير المؤمنين عليه السلام أنْ لا يقاتل معاوية، قال: وقد

تذكّر عليٌّ ذلك ليلة صِفّين، وأنّه قال: للّه درّ مقام عبدالله بن عمر... ثمّ قال ابن تيميّة: هذا رواه المصنّفون[٢٥١].

هذا، والحال أنّ كبار حفّاظهم يروون عن الإمام عليه السلام أنّ قتاله مع الناكثين والقاسطين والمارقين كان عهداً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّه قد أمره بذلك; وقد صحّ عند الحاكم والهيثمي والذهبي وغيرهم أسانيد هذه الروايات[٢٥٢].

فانظر، كيف يكذبون على الأئمّة دفاعاً عن معاوية ويزيد وأشياعهما، تسويغاً لأفعالهم!!

٢ ـ همّ الإمام بالرجوع وهو في الطريق ! !

إنّه لمّا بلغ الإمام عليه السلام ـ وهو في الطريق ـ نبأ استشهاد مسلم بن عقيل رضي الله عنه... التفت إلى بني عقيل وقال: ما ترون؟ فقد قتل مسلم!

فقالوا: والله لا نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق.

فقال عليه السلام: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

هكذا روى الخبرَ العلماءُ من الفريقين[٢٥٣].

لكنْ في تاريخ ابن الجوزي: «فهَمَّ أن يرجع» فقالوا: «لا نرجع»[٢٥٤]!!

٣ ـ اختاروا منّي خصالا ثلاثاً; قاله ليلة عاشوراء!!

وجاء في تاريخ الطبري: إنّ الإمام عليه السلام قال لعمر بن سعد وأصحابه: «إختاروا منّي خصالا ثلاثاً: إمّا أنْ أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإمّا أنْ أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أنْ تسيّروني إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلا من أهله، لي ما لهم وعلَيَّ ما عليهم».

قال الطبري: «قال أبو مخنف: فأمّا عبدالرحمن بن جندب فحدّثني عن عقبة بن سمعان، قال: صحبت حسيناً، فخرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أُفارقه حتّى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكّة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر، إلى يوم مقتله، إلاّ وقد سمعتها.

---

(٢٥١) منهاج السُنّة ٨ / ١٤٥.

(٢٥٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٠ ح ٤٦٧٤، مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٨.

(٢٥٣) انظر: الإرشاد ٢ / ٧٥، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٣، الإصابة ٢ / ٨٠ رقم ١٧٢٦، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٠٨ رقم ٤٨، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٦ رقم ١٣٠٥، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٢٨.

(٢٥٤) انظر: المنتظم ٤ / ١٤٥.

ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده

في يد يزيد بن معاوية، ولا أنْ يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة، حتّى ننظر ما يصير أمرُ الناس»[٢٥٥].

فانظر، كيف يصنعون الأكاذيب ثمّ يشيعونها بين الناس، بل حتّى الذهبي، لم يذكر من الخصال إلاّ الثالثة، فقد روى الخبر عن ابن سعد، فجاء في ما رواه: «وقال الحسين: يا هؤلاء! دعونا نرجع من حيث جئنا. قالوا: لا.

وبلغ ذلك عبيدالله فهمَّ أنْ يخلّي عنه، وقال: والله ما عرض لشيء من عملي، وما أراني إلاّ مخل سبيله يذهب حيث يشاء.

فقال شمر: إنْ فعلت وفاتك الرجل، لا تستقيلها أبداً.

فكتب إلى عمر:

الآن حيث تعلّقته حبالنا *** يرجو النجاةَ ولات حين مناص

فناهضه، وقال لشمر: سِرْ! فإنْ قاتل عمر وإلاّ فاقتله وأنت على الناس.

وضبط عبيدالله الجسر، فمنع من يجوزه لمّا بلغه أنّ ناساً يتسلّلون إلى الحسين»[٢٥٦].

وجاء في رواية الخوارزمي: «ثمّ كتب إلى ابن زياد: بسم الله

الرحمن الرحيم، إلى الأمير عبيدالله بن زياد من عمر بن سعد: أمّا بعد، فإنّي نزلت بالحسين، ثمّ بعثت إليه رسولا أسأله عمّا أقدمه إلى هذا البلد; فذكر أنّ أهل الكوفة أرسلوا إليه يسألونه القدوم عليهم ليبايعوه وينصروه، فإنْ بدا لهم في نصرته فإنّه ينصرف من حيث جاء، فيكون بمكّة أو يكون بأيّ بلد أمرتَه، فيكون كواحد من المسلمين، فأحببتُ أن أُعلم الأمير بذلك ليرى رأيه; والسلام.

فلمّا قرأ عبيدالله كتابه فكّر في نفسه ساعة، ثمّ أنشد:

ألآن إذ علقت مخالبنا به *** يرجو النجاة ولات حين مناص

ثمّ قال: أيرجو ابن أبي تراب النجاة؟! هيهات هيهات، لا أنجاني الله من عذابه إن نجا الحسين منّي!

ثمّ كتب إلى عمر: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك وما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإذا أتاك كتابي فاعرض عليه البيعة لأمير المؤمنين يزيد، فإنْ فعل وبايع، وإلاّ فأتني به; والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على عمر وقرأه، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّ عبيدالله لا يقبل العافية، والله المستعان.

قال: ولم يعرض ابن سعد على الحسين بيعة يزيد; لأنّه علم أنّ الحسين لا يجيبه إلى ذلك أبداً[٢٥٧].

٤ ـ عدد القتلى في جيش ابن زياد

---

(٢٥٥) تاريخ الطبري ٣ / ٣١٢.

(٢٥٦) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٠٠.

(٢٥٧) مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٤٣ ف ١١ ح ٧.

ومن الأكاذيب: ما وجدته في غير واحد من المصادر ـ كالكامل في التاريخ ـ أنّ عدد القتلى في جيش ابن زياد ٨٨ شخصاً فقط! قال: فصلّى عليهم عمر ودفنهم[٢٥٨].

* * *

(٢٥٨) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٤ حوادث سنة ٦١ هـ

الفصل الثالث

في التناقضات في الكلمات

وحار أذنابُ بني أُميّة وأتباعُهم المدافعون عنهم أمام هذه القضيّة، واضطربت كلماتهم، واختلفت أساليبهم، ووقعوا في تناقض شديد..

فمنهم: من حاول تبرئة يزيد، والمنع من لعنه، بتكذيب كلّ ما وقع!

ومنهم: من اعترف، وتكلّم في الإمام، وصوّب فعل يزيد!

ومنهم: من جعل يلفّ ويدور، ويطرح الاحتمالات والتأويلات، فلا يكذّب، ولا يقول الحقّ، ويدعو إلى الإمساك عن لعن يزيد، بل عن كلّ مجرم حتّى إبليس!!

وإلى القارئ الكريم هؤلاء:

ابن تيميّة

يقول ابن تيميّة: «إنّ يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتّفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أنْ يمنعه عن ولاية العراق، والحسين رضي الله عنه كان يظنّ أنّ أهل العراق ينصرونه... فقاتلوه حتّى قتل شهيداً مظلوماً، رضي الله عنه.

ولمّا بلغ ذلك يزيد أظهر التوجّع على ذلك، وظهر البكاء في داره.

ولم يَسبِ له حريماً أصلا، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتّى ردّهم إلى بلدهم...

وقد اتّفق الناس على أنّ معاوية رضي الله عنه وصّى يزيد برعاية حقّ الحسين وتعظيم قدره... وإذا قيل: إنّ معاوية رضي الله عنه استخلف يزيد، وبسبب ولايته فعل هذا. قيل: استخلافه إنْ كان جائزاً لم يضرّه ما فعل، وإن لم يكن جائزاً فذاك ذنب مستقلّ ولو لم يقتل الحسين...»[٢٥٩].

أقول: وفي كلامه:

١ ـ إنّ يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتّفاق أهل النقل.

٢ ـ إنّه لمّا بلغ ذلك يزيد أظهر التوجّع...

٣ ـ إنّ يزيد لم يسبِ له حريماً أصلا.

٤ ـ إنّ معاوية ليس له دور في هذه القضيّة.

ثمّ لماذا تعرّض للدفاع عن معاوية؟!

لأنّ المرتكز في أذهان الناس أنّه لولا استخلاف معاوية يزيد الخمور والفجور، وبتلك الأساليب البشعة والماكرة ـ التي تقدّم ذِكر بعضها في الفصل الأوّل ـ لَما فعل يزيد هذا...

ولا بُدّ من الدفاع عن معاوية!!..

---

(٢٥٩) منهاج السُنّة ٤ / ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

لأنّ معاوية ـ أيضاً ـ منصوب من قِبَل عمر بن الخطّاب على

الشام... ولولا ذلك لَما فعل ما فَعَل، ولَما وصلت النوبة إلى يزيد...

وهذا هو السبب في اضطراب القوم...

فابن تيميّة أجاب بجواب هو في الواقع التزامٌ بالحقيقة...

ابن العربي المالكي

ورأى ابن العربي المالكي أنّ حماية معاوية ومَن فوقه متوقّفة على التصريح بأنّ الحسين لم يقتل إلاّ بسيف جدّه[٢٦٠]...

وحكى ذلك عنه المناوي إذ قال: «قيل لابن الجوزي ـ وهو على كرسي الوعظ ـ كيف يقال: يزيد قتل الحسين، وهو بدمشق، والحسين بالعراق؟!

فقال:

سهمٌ أصابَ وراميه بذي سَلَم *** مَن بالعراق لقد أبعدتَ مَرماكا

وقد غلب على ابن العربي الغضّ من أهل البيت حتّى قال: قتله بسيف جدّه»[٢٦١].

وقال ابن خلدون منكِراً على ابن العربي كلامه في هذا الشأن: «وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه

الذي سمّاه (العواصم من القواصم)، ما معناه أنّ الحسين قُتل بشرع جدّه، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل; ومَن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء؟!»[٢٦٢].

وقال ابن حجر المكّي في كلام له عن يزيد: «قال أحمد ابن حنبل بكفره، وناهيك به ورعاً وعلماً يقضيان بأنّه لم يقل ذلك إلاّ لقضايا وقعت منه صريحةً في ذلك ثبتت عنده، وإنْ لم تثبت عند غيره..

كالغزّالي; فإنّه أطال في ردّ كثير ممّا نُسب إليه، كقتل الحسين، فقال: لم يثبت من طريق صحيح أنّه قتله ولا أمر بقتله. ثمّ بالغ في تحريم سبّه ولعنه.

وكابن العربي المالكي; فإنّه نقل عنه ما يقشعرّ منه الجلد، أنّه قال: لم يقتل يزيدُ الحسينَ إلاّ بسيف جدّه. أي: بحسب اعتقاده الباطل أنّه الخليفة، والحسين باغ عليه، والبيعة سبقت ليزيد، ويكفي فيها بعض أهل الحلّ والعقد، وبيعته كذلك، لأنّ كثيرين أقدموا عليها مختارين لها.

---

(٢٦٠) انظر: العواصم من القواصم: ٢١٤.

(٢٦١) فيض القدير ١ / ٢٦٥ ح ٢٨١.

(٢٦٢) مقدّمة ابن خلدون: ١٧١.

أقول: لكن يظهر من كلام الحافظ الهيثمي ـ كما سيأتي عن الحافظ السخاوي ـ أنّ ابن خلدون كان يقول بقول ابن العربي، فذكر الحافظ ابن حجر أنّ ذلك كان في النسخة التي رجع عنها من تاريخه.

هذا، مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له، أمّا مع النظر لذلك

فلا يشترط موافقة أحد من أهل الحلّ والعقد على ذلك»[٢٦٣].

إذن، رجع الأمر مرّةً أُخرى إلى معاوية!!

أقول:

روى ابن العربي المالكي أخبار عهد معاوية لابنه يزيد وكيفيّة أخذه البيعة له، إلى أن قال:

«فإنْ قيل: ليس فيه شروط الإمامة.

قلنا: ليس السنّ من شروطها، ولم يثبت أنّه يقصر يزيد عنها.

فإن قيل: كان منها العدالة والعلم، ولم يكن يزيد عدلا ولا عالماً.

قلنا: وبأيّ شيء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته؟! ولو كان مَسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الّذين أشاروا عليه بأنْ لا يفعل، وإنّما رموا إلى الأمر بعيب التحكّم، وأرادوا أن تكون شورى.

فإن قيل: كان هناك من هو أحقّ منه عدالةً وعلماً، منهم مئة وربّما ألف.

قلنا: إمامة المفضول ـ كما قدّمنا ـ مستألة خلاف بين العلماء كما ذكر العلماء في موضعه»[٢٦٤].

قال:

«وقد حسم البخاري الباب، ونهج جادّة الصواب، فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدّم، وهو أنّ معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته...»[٢٦٥]، فأورد أخبار بيعة عبدالله ابن عمر ليزيد، فقال:

«فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخاري في الصحيح، وإلى ما سبق ذِكرنا له في رواية بعضهم أنّ عبدالله بن عمر لم يبايع...»[٢٦٦].

قال:

«فهذه الأخبار الصحاح كلّها تعطيك أنّ ابن عمر كان مسلّماً في أمر يزيد، وأنّه بايع وعقد له، والتزم ما التزم الناس، ودخل في ما دخل فيه المسلمون، وحرّم على نفسه ومَن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه.

وظهر لك أنّ من قال: إنّ معاوية كذب في قوله: بايَعَ ابنُ عمر ولم يبايع; وإنّ ابن عمر وأصحابه سُئلوا فقالوا: لم نبايع; فقد كذب.

وقد صدق البخاري في روايته قولَ معاوية في المنبر: إنّ ابن عمر قد بايع; بإقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديه عليه...»[٢٦٧].

---

(٢٦٣) المنح المكّيّة ـ شرح القصيدة الهمزية.

(٢٦٤) العواصم من القواصم: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢٦٥) العواصم من القواصم: ٢٠٧.

(٢٦٦) العواصم من القواصم: ٢٠٨.

(٢٦٧) العواصم من القواصم: ٢٠٩.

قال:

«فإن قيل: كان يزيد خمّاراً.

قلنا: لا يحلُّ إلاّ بشاهدين، فمن شهد بذلك عليه؟!...

فإن قيل: ولو لم يكن ليزيد إلاّ قتله للحسين بن عليّ!

قلنا: يا أسفاً على المصائب مرّةً، ويا أسفاً على مصيبة الحسين ألف مرّة، وإنّ بوله يجري على صدر النبيّ صلّى اللّٰه عليه وسلّم ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن، يا للّٰه ويا للمسلمين!!»[٢٦٨].

قال:

«وذكر المؤرّخون: أنّ كتب أهل الكوفة وردت على الحسين، وأنّه أرسل مسلم بن عقيل، ابنَ عمّه، إليهم ليأخذ عليهم البيعة، وينظر هو في اتّباعه، فنهاه ابن عبّاس، وأعلمه أنّهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج، فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلاّ ومسلم بن عقيل قد قُتل، وأسلمه من كان استدعاه; ويكفيك بهذا عظةً لمن اتّعظ!

فتمادى واستمرّ غضباً للدين وقياماً بالحقّ، ولكنّه رضي اللّٰه عنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عبّاس، وعَدَل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر، وطلب الابتداء في الانتهاء، والاستقامة في

الاعوجاج، ونضارة الشبيبة في هشيم المشيخة، ليس حوله مثله، ولا له من الأنصار من يرعى حقّه، ولا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أنْ نطهّر الأرض من خمر يزيد، فأرقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر.

وما خرج إليه أحد إلاّ بتأويل، ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذّر من الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها: قوله صلّى اللّٰه عليه وسلّم: إنّه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أنْ يفرّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان; فما خرج الناس إلاّ بهذا وأمثاله.

ولو أنّ عظيمها وابن عظيمها، وشريفها وابن شريفها الحسين، وسعه بيته أو ضيعته أو إبله، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحقّ، وفي جملتهم ابن عبّاس وابن عمر، لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبيّ صلّى اللّٰه عليه وسلّم، وما قال في أخيه، ورأى أنّها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق ينصرونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة وكبارُ الصحابة ينهونه وينأون عنه؟!

ما أدري في هذا إلاّ التسليم لقضاء اللّٰه، والحزن على ابن بنت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم بقيّة الدهر.

ولولا معرفة أشياخ وأعيان الأُمّة بأنّه أمر صرفه اللّٰه عن أهل البيت،

وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها، ما أسلموه أبداً... وكلٌّ منهم عظيم القدر، مجتهد، وفي ما دخل فيه مصيبٌ مأجور، وللّٰه فيه حكم قد أنفذه...»[٢٦٩].

أقول:

---

(٢٦٨) العواصم من القواصم: ٢١٠ و ٢١١.

(٢٦٩) العواصم من القواصم: ٢١٢ ـ ٢١٥.

هذه نصوص عباراته باختصار، تدبّر فيها لترى أنّ الغرض الأصلي هو الحماية والدفاع عن الخلفاء والصحابة الّذين حملوا بني أُميّة على رقاب الناس، فالدفاع عن يزيد ومعاوية، والقول بأنّ الحسين إنّما قتل بسيف جدّه، إنّما هو من أجل تصحيح ما فعله المشايخ، وهذا ما صرّح به بعد حين فقال: «ولولا معرفة أشياخ وأعيان الأُمّة بأنّه أمر صرفه الله عن أهل البيت...».

عبدالمغيث البغدادي

وأصرح من ذلك كلام الشيخ عبدالمغيث بن زهير الحنبلي البغدادي; فقد ذكر في رسالته التي وضعها في الدفاع عن يزيد والمنع من لعنه وجوهاً[٢٧٠]، أهمّها:

١ ـ قد قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حقّ معاوية: اللّهمّ اجعله هادياً واهد به. ومَن هو هاد لا يجوز أنْ يُطعن عليه في ما اختاره مِن ولاية يزيد.

٢ ـ ولاية يزيد ثبتت برضا الجميع إلاّ خمسة، هم: عبدالرحمن بن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، والحسين، وابن عبّاس.

٣ ـ أحاديث وجوب الطاعة للأئمّة وإنْ جاروا، فذهب قوم إلى أنّ الحسين كان خارجيّاً.

٤ ـ السكوت عن يزيد احتراماً لأبيه.

أقول:

الملاحَظ أنّ أوّل شيء يطرحه هو الدفاع عن معاوية; لأنّه صرّح بانتهاء الأمر إليه، فلا بُدّ من الدفاع عنه، وقد تعرّض لحديث في فضله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، لكنّه حديث موضوع بإقرار علماء القوم، بل قد نصَّ الأئمّة منهم على أنّه لم يصحّ في فضل معاوية بن أبي سفيان عن رسول الله شيء[٢٧١].

ثمّ يدّعي موافقة رجال الأُمّة على ولاية يزيد إلاّ الخمسة، فيذكر فيهم «عبدالله بن عمر»!

والأحاديث في وجوب طاعة الولاة غير منطبقة على يزيد.

فيعود مرّةً أُخرى، للدفاع عن معاوية وحمايته... وهذا هو المهمّ...!!

هذا، وقد قالوا بترجمة هذا الرجل: كان إماماً، حافظاً، محدّثاً، زاهداً، صالحاً، متديّناً، صدوقاً، ثقةً، ورعاً، أميناً، حسن الطريقة، جميل السيرة، حميد الأخلاق، مجتهداً في اتّباع السُنّة...

فقال الذهبي: «وقد ألّف جزءاً في فضائل يزيد، أتى فيه بعجائب وأوابد، لو لم يؤلّفه لكان خيراً»[٢٧٢].

---

(٢٧٠) رسالته غير مطبوعة، وقد وردت هذه الوجوه في رسالة معاصره الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، التي أسماها بـ«الردّ على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد»، وهي مطبوعة; انظر: الردّ على المتعصّب العنيد: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢٧١) تقدّم مفصّلا في الصفحات ٤١٢ ـ ٤١٤; فراجع.

(٢٧٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ١٦٠.

وقال ابن كثير: «له مصنَّف في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيه بالغرائب والعجائب، وقد ردّ عليه أبو الفرج ابن الجوزي، فأجاد وأصاب»[٢٧٣].

وقال ابن العماد: «قال الذهبي: صنَّف جزءاً في فضائل يزيد أتى فيه بالموضوعات»[٢٧٤].

ثمّ لمّا سُئل عبدالمغيث عن السبب في دفاعه عن يزيد أجاب: «يا
هذا! إنّما قصدت كفّ الألسنة عن لعن الخلفاء»[٢٧٥].

أقول:

وهذا معنى كلام الشيخ السعد التفتازاني في «شرح المقاصد»، حيث قال: «تحامياً عن أن يُرتقى إلى الأعلى فالأعلى»! وهذا نصّ كلامه بكامله:

«إنّ ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدلّ بظاهره على أنّ بعضهم قد حاد عن طريق الحقّ وبلغ حدّ الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرئاسة، والميل إلى اللذّات والشهوات; إذ ليس كلّ صحابيّ معصوماً، ولا كلّ من لقي النبيَّ صلّى اللّٰه عليه وسلّم بالخير موسوماً.

إلاّ أنّ العلماء ـ لحسن ظنّهم بأصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم ـ ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلالة في حقّ كبار الصحابة، سيّما المهاجرين منهم والأنصار، والمبشّرين بالثواب في دار القرار.

وأمّا ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبيّ صلّى اللّٰه عليه وسلّم ، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، إذ تكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويبكي له من في الأرض والسماء، وتنهدّ منه الجبال وتنشقّ الصخور، ويبقى سوء عمله على كرّ الشهور ومرّ الدهور، فلعنة اللّٰه على من باشر، أو رضي، أو سعى، **(وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقَى)**[٢٧٦].

فإن قيل: فمِن علماء المذهب مَن لم يجوّز اللعن على يزيد، مع علمهم بأن يستحقّ ما يربو على ذلك ويزيد؟!

قلنا: تحامياً عن أن يُرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض على ما يروى في أدعيتهم ويجري في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوامّ بالكلّية طريقاً إلى الاقتصاد في الاعتقاد، وبحيث لا تزلّ الأقدام عن السواء، ولا تضلّ الأفهام بالأهواء، وإلاّ فمَن يخفى عليه الجواز والاستحقاق؟! وكيف لا يقع عليهما الاتّفاق؟!

---

(٢٧٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٩٠ حوادث سنة ٥٨٣ هـ.

(٢٧٤) شذرات الذهب ٤ / ٢٧٦ حوادث سنة ٥٨٣ هـ.

(٢٧٥) سير أعلام النبلاء ٢١ / ١٦١.

(٢٧٦) سورة طه ٢٠: ١٢٧.

وهذا هو السرّ في ما نقل عن السلف من المبالغة في مجانبة أهل الضلال، وسدّ طريق لا يؤمن أن يجرّ إلى الغواية في المآل، مع علمهم

بحقيقة الحال وجليّة المقال»[٢٧٧].

أقول:

إنّه ليس تحامياً عن أنْ يُرتقى إلى الأعلى فالأعلى فقط، بل لئلاّ ينزل إلى الأسفل والأسفل...

إنّهم بتحاميهم عن يزيد ومعاوية يريدون الإبقاء على حكومات الجور في أزمنتهم أيضاً؛ ولذا رووا أنّه لمّا سأل الخليفةُ الناصرُ عبدَ المغيث الحنبلي عن سبب منعه من لعن يزيد، أجابه بأنّه: لو فتحنا هذا الباب لزم لعن خليفتنا ـ يعني الناصر ـ وعَزْله عن الخلافة...[٢٧٨].

ومن هنا يظهر سرّ ممانعة الحكومات الجائرة عن لعن يزيد وقراءة مأتم الإمام عليه السلام وإقامة العزاء عليه...

هذا، ولا يخفى التهافت والتناقض بين كلام عبدالمغيث وبين كلام ابن العربي، فإنّ ابن العربي أكّد على أنّ ابن عمر قد بايع يزيد بن معاوية، وكذّب القولَ بأنّه لم يبايع، واستند إلى خبر رواه البخاري ووصفه بـ«شيخ الصحابة»[٢٧٩]، وعبدالمغيث ينصُّ على عدم مبايعته ليزيد...

وهذا من موارد تناقضات القوم فيما بينهم في دفاعهم عن الأشياخ!

وسيأتي أنّ واحدهم قد يناقض نفسَه وتتهافت كلماته...

الغزّالي

وأمّا الغزّالي... فهذه نصوص كلماته باختصار:

«فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد، لأنّه قاتل الحسين أو آمر به؟

قلنا: هذا لم يثبت أصلا...

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه اللّه، أو: الآمر بقتله لعنه اللّه؟

قلنا: الصواب أن يقال: قاتل الحسين إنْ مات قبل التوبة لعنه اللّه، لأنّه يحتمل أنْ يموت بعد التوبة...»[٢٨٠].

ولمّا سُئل عن لعن يزيد بن معاوية، أجاب:

«لا يجوز لعن المسلم أصلا، ومن لعن المسلم فهو الملعون... ويزيد صحّ إسلامُه، وما صحَّ قتلُه للحسين رضي اللّه عنه، ولا أَمْرُه ولا رِضاه بذلك، ومهما لم يصحّ ذلك عنه لم يجز أنْ يظنّ ذلك به، فإنّ إساءة الظنّ ـ أيضاً ـ بالمسلم حرام، قال اللّه تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا**

---

(٢٧٧) شرح المقاصد ٥ / ٣١٠ ـ ٣١١.

(٢٧٨) انظر: البداية والنهاية ١٢ / ٢٩٠ حوادث سنة ٥٨٣ هـ سير أعلام النبلاء ٢١ / ١٦١، ذيل طبقات الحنابلة ٣ / ٢٩٩.

(٢٧٩) العواصم من القواصم: ٢١٣.

(٢٨٠) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٩ و ٢٧٠ كتاب آفات اللسان / الآفة الثامنة.

كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)[٢٨١]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه، وأنْ يُظنّ به ظنّ السوء.

ومن أراد أن يعلم حقيقةَ مَنِ الذي أمَر بقتله لم يقدر على ذلك، وإذا لم يعلم وجب إحسان الظنّ بكلّ مسلم يمكن إحسان الظنّ به.

ومع هذا، لو ثبت على مسلم أنّه قتل مسلماً، فمذهب أهل الحقّ أنّه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر، بل هو معصية، وإذا مات القاتل فربّما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه، فكيف مَن تاب مِن قَتْل؟!

ولم يُعرف أنّ قاتل الحسين مات قبل التوبة، (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**)[٢٨٢].

فإذن لا يجوز لعن أحد ممّن مات من المسلمين، ومن لعن كان فاسقاً عاصياً الله عزّ وجلّ، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة: لِمَ لَم تلعن إبليس؟! ويقال للاّعن: لِمَ لعنت؟! ومن أين عرفت أنّه ملعون؟!

والملعون هو المبعَد من الله عزّ وجلّ، وذلك لا يُعرف إلاّ في مَن مات كافراً، فإنّ ذلك عُلِم بالشرع.

وأمّا الترحّم عليه فجائز، بل مستحبٌّ، بل داخل في قولنا: اللّهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات; فإنّه كان مؤمناً»[٢٨٣].

أقول:

فهو ـ قبل كلّ شيء ـ يشكّك في أمرِ يزيد بقتل الإمام عليه السلام... ثمّ يؤكّد على إسلام الرجل ليحرّم لعنه باحتمال التوبة قبل الموت!

أمّا أنّ يزيد قد أمر بقتل الحسين عليه السلام فهذا ثابت بالضرورة من التاريخ، وكتب القوم ورواياتهم شاهدة بذلك، وكلمات علمائهم تؤكّده... حتّى إنّ ابن العربي ومَن تبعه يرون خلافة يزيد على حقّ، وأنّ الإمام عليه السلام إنّما قُتل بسيف جدّه ـ والعياذ بالله ـ، وسيأتي تصريح الحافظ بأنّه قاتل الحسين عليه السلام وإنْ حاول الدفاع عنه بعض الشيء...

وأمّا كفره، فليس لقتل الإمام عليه السلام فقط، بل لأسباب أُخرى أيضاً، ولذا أفتى بذلك مثل أحمد بن حنبل، وسائر أئمّة القوم المعروفين عندهم بالزهد والورع...

ومن العجب أن يضطرّه الدفاع عن يزيد ويلجئه إلى الدفاع عن إبليس وكلّ شيطان مريد، بترجيح السكوت عنه على لعنه، وهو يرى

بأُمّ عينيه أنّ الكتاب والسُنّة مشحونان بلعنه ولعن أتباعه والمطيعين له، وعلى ذلك سيرة المسلمين كافّة إلى يومنا هذا!

---

(٢٨١) سورة الحجرات ٤٩: ١٢.

(٢٨٢) سورة الشورى ٤٢: ٢٥.

(٢٨٣) حياة الحيوان الكبرى ـ للدميري ـ ٢ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

وما ذلك كلّه إلاّ دفاعاً عن الخلفاء، كما قال عبدالمغيث، وتحامياً عن أن يُرتقى في اللعن إلى الأعلى... كما جاء في كلام التفتازاني...

عبدالقادر الجيلاني الحنبلي

ولبعض مشايخ القوم في التصوّف والسلوك إلى الله!! أُسلوب آخر، ظاهره أنيق، وباطنه إغراء وتخديع...

يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني في يوم عاشوراء: «فصلٌ: وقد طعن قومٌ على من صام هذا اليوم العظيم وما ورد فيه من التعظيم، وزعموا أنّه لا يجوز صيامه لأجل قتل الحسين ابن عليّ رضي الله عنهما فيه، وقالوا: ينبغي أن تكون المصيبة فيه عامة لجميع الناس لفقده فيه، وأنتم تتّخذونه يوم فرح وسرور، وتأمرون فيه بالتوسعة على العيال والنفقة الكثيرة والصدقة على الفقراء والضعفاء والمساكين، وليس هذا من حقّ الحسين رضي الله عنه على جماعة المسلمين.

وهذا القائل خاطئ، ومذهبه قبيح فاسد; لأنّ الله تعالى اختار لسبط نبيّه صلّى الله عليه وسلّم الشهادة في أشرف الأيّام وأعظمها وأجلّها وأرفعها عنده، ليزيده بذلك رفعة في درجاته وكراماته مضافة إلى كرامته، وبلّغه منازل الخلفاء الراشدين الشهداء بالشهادة.

ولو جاز أن نتّخذ يوم موته يوم مصيبة لكان يوم الاثنين أَوْلى بذلك، إذ قبض الله تعالى نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فيه، وكذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه قُبض فيه، وهو ما روى هشام بن عروة، عن عائشة رضي الله عنهما، قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه: أيّ يوم توفّي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيه؟ قلت: ويوم الاثنين، قال رضي الله عنه: إنّي أرجو أن أموت فيه; فمات رضي الله عنه فيه.

وفَقْدُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفَقْدُ أبي بكر رضي الله عنه أعظم من فَقْدِ غيرهما، وقد اتّفق الناس على شرف يوم الاثنين، وفضيلة صومه، وأنّه تُعرض أعمال العباد فيه، وفي يوم الخميس تُرفع أعمال العباد.

وكذلك يوم عاشوراء لا يُتّخذ يوم مصيبة، ولأنّ يوم عاشوراء إنْ اتّخذ يوم مصيبة ليس بأَوْلى من أن يُتّخذ يوم فرح وسرور، لِما قدّمنا ذِكره وفضله، من أنّه يوم نجّى الله تعالى فيه أنبياءه من أعدائهم، وأهلك فيه أعداءهم الكفّار من فرعون وقومه وغيرهم، وأنّه تعالى خلق السماوات والأرض والأشياء الشريفة فيه وآدم عليه السلام وغير ذلك، وما أعدّ الله تعالى لمن صامه من الثواب الجزيل والعطاء الوافر وتكفير الذنوب وتمحيص السيّئات، فصار عاشوراء بمثابة بقية الأيّام الشريفة، كالعيدين والجمعة وعرفة وغيرهما.

ثمّ لو جاز أن يُتّخذ هذا اليوم مصيبة لاتّخذته الصحابة والتابعون رضي الله عنهم; لأنّهم أقرب إليه منّا وأخصّ به، وقد ورد عنهم الحثّ على التوسعة على العيال فيه والصوم فيه..

من ذلك ما روي عن الحسن رحمة الله تعالى عليه، أنّه قال: كان صوم يوم عاشوراء فريضة، وكان عليٌّ رضي الله عنه يأمر بصيامه، فقالت لهم عائشة رضي الله عنها: مَن يأمركم بصوم يوم عاشوراء؟! قالوا: عليٌّ رضي الله عنه; قالت: إنّه أعلم مَن بقي بالسُنّة.

وروي عن عليّ رضي اللّٰه عنه، قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم: مَن أحيا ليلة عاشوراء أحياه اللّٰه تعالى ما شاء.

فدلّ على بطلان ما ذهب إليه هذا القائل. واللّٰه أعلم»[٢٨٤].

الذهبي

والذهبي جاءت كلماته بترجمة يزيد متهافتة.

أمّا في (تاريخه)[٢٨٥] فذكر ما ملخّصه أنّه روى عن أبيه، وروى عنه ابنه خالد وعبدالملك بن مروان، وأنّه بويع بعد أبيه، ثمّ ذكر أنّ أُمّه ميسون رأت في النوم كأنّ قمراً خرج من قُبلها، فقيل لها: تلدين من يُبايَع
له بالخلافة[٢٨٦]!

قال: وفي سنة خمسين غزا يزيد أرض روم ومعه أبو أيّوب الأنصاري، وحجّ بالناس سنة إحدى وخمسين وسنة اثنتين وسنة ثلاث.

ثمّ روى عن عبداللّٰه بن عمرو، قال: أبو بكر الصدّيق، أصبتم اسمه; عمر الفاروق، قرن من حديد، أصبتم اسمه; ابن عفّان ذو النورين، قُتل مظلوماً، يؤتى كفلين من الرحمة; معاوية وابنه ملكا الأرض المقدّسة; والسفّاح وسلام ومنصور وجابر والمهدي والأمين وأمير العُصَب، كلّهم من بني كعب بن لؤي، كلُّهم صالح لا يوجد مثله[٢٨٧].

قال: روى نحوه محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي أُسامة، عن الثوري، عن هشام بن حسّان، ثنا محمّد بن سيرين.. ـ قال: وله طريق آخر. قال: ولم يرفعه أحد ـ ..

ثمّ روى عهد معاوية، وأنّه قال: ابني أحقّ; وأنّه خطب فقال: اللّهمّ إنْ كنتُ أنّ ما عهدتُ ليزيد لِما رأيتُ من فضله، فبلّغه ما أَمّلتُ وأعِنه...

ثمّ روى أنّه وفد عبداللّٰه بن جعفر على يزيد فأعطاه ألف ألف، فقال عبداللّٰه له: بأبي أنت وأُمّي!! فأمَرَ له بألف ألف أُخرى، فقال له
عبداللّٰه: واللّٰه لا أجمعهما لأحد بعدك[٢٨٨]!!

ثمّ روى عن أبي الدرداء: سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم يقول: أوّل من يبدّل سُنّتي رجل من بني أُميّة يقال له: يزيد[٢٨٩]... وناقش في بعض إسناده.

---

(٢٨٤) غنية الطالبين: ٦٨٤ ـ ٦٨٧.

(٢٨٥) تاريخ الإسلام ٢ / ٤٧٦.

(٢٨٦) انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٦، تاريخ دمشق ٦٥ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٢٨٧) انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨.

(٢٨٨) انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٩.

(٢٨٩) انظر الحديث بمختلف ألفاظه وأسانيده، والمؤدّى واحد، في:

وعقّبه بأنّ عبدالله بن عمر بن الخطّاب قال لبنيه وأهله ـ لمّا خلع أهلُ المدينة يزيد ـ : إنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله... فلا يخلعنّ أحد منكم يزيد.

وبأنّ محمّد بن الحنفيّة ردّ على من تكلّم في يزيد بأنّه يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدّى حكم الله بقوله: «ما رأيتُ منه ما تذكرون، قد أقمتُ عنده فرأيته مواظباً للصلاة، متحرّياً للخير، يسأل عن الفقه»[٢٩٠].

وروى بالتالي أنّ رجلا قال عند عمر بن عبدالعزيز: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال: تقول: أمير المؤمنين؟! وأمر به فضرب

عشرين سوطاً[٢٩١].

أقول:

فلم يذكر بترجمة يزيد شيئاً من مساوئه ومخازيه، ولربّما يُستفاد من سياق كلامه المدح له...

وأورده الذهبي في «أعلام النبلاء»! فذكر شيئاً من سيرته، إلاّ أنّه افتتحها بقوله:

«له على هناته حسنة، وهي غزو القسطنطينيّة، وكان أمير ذلك الجيش، وفيهم مثل أبي أيّوب الأنصاري; عقد له أبوه بولاية العهد من بعده، فتسلّم الملك عند موت أبيه في رجب سنة ستّين...»[٢٩٢].

قال: «ويزيد ممّن لا نسبّه ولا نحبّه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شرٌّ منه، وإنّما عظم الخطب لكونه وُلِّيَ بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أَوْلى بالأمر منه ومن أبيه وجدّه»[٢٩٣].

أقول:

فما معنى هذا الكلام وهو يعترف بأنّ يزيد هو قاتل الإمام الحسين عليه السلام; إذ قال: «افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس، ولم يبارَك في عمره...»[٢٩٤]؟!

ثمّ لماذا عقّب هذا الاعتراف بما رواه عن عبدالله بن عمرو، ولم يطعن في سنده، مع طعنه في سند الحديث عن النبيّ بأنّه: «لا يزال أمر أُمّتي قائماً حتّى يثلمه رجل من بني أُميّة يقال له: يزيد»[٢٩٥]؟! على أنّ لفظه في (تاريخه): «أوّل من يبدّل سُنّتي»[٢٩٦].

سير أعلام النبلاء ١ / ٣٣٠ و ج ٤ / ٣٩، مصنّف ابن أبي شيبة ٨ / ٣٤١ ح ١٤٥، تاريخ دمشق ٦٥ / ٢٥٠، البداية والنهاية ٨ / ١٦٥ حوادث سنة ٦٤ هـ، الجامع الصغير: ١٦٩ ح ٢٨٤١، سبل الهدى والرشاد ١٠ / ٨٩ ب ١٣، تطهير الجَنان: ٨٧، كنز العمّال ١١ / ١٦٧ ح ٣١٠٦٢ و ٣١٠٦٣.

(٢٩٠) انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٩ ـ ٤٠، البداية والنهاية ٨ / ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢٩١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٠، تهذيب التهذيب ٩ / ٣٧٦ رقم ٨٠٥٨.

(٢٩٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٦.

(٢٩٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٦.

(٢٩٤) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨.

(٢٩٥) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٩، وقد تقدّم تخريجه مفصّلا في الصفحة ٤٣٩ هـ ٣; فراجع.

وكيف يروي الكلام المذكور عن عبدالله بن عمرو في كتابيه، ويتغافل عن أنّ عبدالله بن عمرو لم يدرك السفّاح ومَن بعده؟!

وأمّا ما رواه عن عبدالله بن جعفر، فكذب قطعاً.

وبعدُ، فإذا كان يزيد «افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس» و «كان ناصبياً»[٢٩٧]، فبِمَ يُحكم عليه في رأي الذهبي؟!

والجدير بالذكر أنّه تارةً يقول: «وإنّما عظم الخطب، لكونه وُلِّي بعد وفاة النبيّ بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أَوْلى بالأمر منه ومن أبيه وجدّه».

ويقول تارةً أُخرى ـ دفاعاً عن يزيد وخلافته ـ بأنّ عبدالله ابن عمر قد قال لبنيه وأهله ـ لمّا خلع أهل المدينة يزيد ـ : «إنّا قد بايعنا هذا الرجل...»!

ابن حجر العسقلاني

ومن علمائهم من يترحّم على يزيد، ولا يتعرّض لشيء من قضاياه أصلا، ولا يتكلّم فيه بمدح ولا ذمّ، كابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب»[٢٩٨] و «تعجيل المنفعة»[٢٩٩].

وإنّما قال في «تقريب التهذيب»: «ليس بأهل أنْ يروى عنه»[٣٠٠].

ولكنْ لماذا؟!

وكذلك لم يتعرّض ليزيد بشيء، بترجمة مولانا الإمام الحسين الشهيد، من كتابه «الإصابة في معرفة الصحابة»[٣٠١].

وهذا أُسلوب آخر...

السبب في الدفاع عن معاوية ويزيد

وبعدُ.. فقد عرفنا كيف يدافعون عن يزيد ليدافعوا عن معاوية; لأنّ الذي ولّى يزيد هو معاوية، فجميع ما صدر من يزيد يحسب على معاوية.

وأيضاً: فقد ثبت عندنا ـ ممّا سبق ـ كون قتل الإمام كان من تخطيط معاوية.

ولكنْ لماذا يدافعون عن معاوية؟!

لقد جاءت الكلمات التالية بترجمة معاوية من كتاب «تاريخ دمشق»[٣٠٢]، عن كبار أئمّة القوم:

---

(٢٩٦) انظر: سير أعلام النبلاء ١ / ٣٣٠.

(٢٩٧) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٧.

(٢٩٨) تهذيب التهذيب ١١ / ٣٦٠ ـ ٣٦١ رقم ٦٩٩.

(٢٩٩) تعجيل المنفعة: ٥٠٣ ـ ٥٠٤ رقم ١١٨٧.

(٣٠٠) تقريب التهذيب ٢ / ٣٣٢ رقم ٧٨٠٥.

(٣٠١) الإصابة ٢ / ٧٦ ـ ٨١ رقم ١٧٢٦.

(٣٠٢) انظر: تاريخ دمشق ٥٩ / ٢٠٩ ـ ٢١٠.

١ ـ معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شزراً، اتّهمناه على القوم، أعني على أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم[٣٠٣].

٢ ـ جاء رجل إلى سفيان فقال: ما تقول في شتم معاوية؟

قال: متى عهدك بشتيمة فرعون؟!

قال: ما خطر ببالي.

قال: ففرعون أَوْلى بالشتم.

٣ ـ قال الربيع بن نافع: معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فإذا كشف الرجلُ الستر اجترأ على ما وراءه[٣٠٤].

٤ ـ قال وكيع: معاوية بمنزلة حلقة الباب، من حرّكه اتّهمناه على مَن فوقه.

٥ ـ عن أحمد: إذا رأيت رجلا يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسوء، فاتّهمه على الإسلام[٣٠٥].

نعم، من تكلّم في معاوية، فإنّه سوف يتكلّم في «مَن فوقه»; وذلك:

أوّلا: لأنّ أُولئك هم الّذين تسبّبوا في وصول الأمر إلى معاوية ويزيد وغيره، وإلى يومنا هذا... برفضهم كون الإمامة والولاية بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنصّ، وأنّه قد نصّ على عليّ عليه السلام وبايعوه غير مرّة.

وثانياً: لأنّ عمر بن الخطّاب ولّى معاوية على الشام، وجعل يدافع عنه ويمدحه ويقوّيه، ثمّ تبعه عثمان على ذلك.

وهكذا ينتهي قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه إلى «الأعلى فالأعلى»، كما قال سعد الدين التفتازاني[٣٠٦].

---

(٣٠٣) وانظر: البداية والنهاية ٨ / ١١٢.

(٣٠٤) وانظر: تاريخ بغداد ١ / ٢٠٩ رقم ١٥، البداية والنهاية ٨ / ١١٢.

(٣٠٥) وانظر: البداية والنهاية ٨ / ١١٢.

(٣٠٦) انظر: شرح المقاصد ٥ / ٣١١.

الفصل الرابع

في قول العلماء

بكفر يزيد ولعنه

يزيد في كتب الحديث والرجال

قالوا: إنّه لم يُرْوَ عن يزيد في الكتب الستّة إلاّ رواية واحدة مرسلة عند أبي داود، وهذا ما رمز له الحافظ ابن حجر، ومن أجل ذلك ترجم له في كتابه «تهذيب التهذيب»، وقال: «وجدت له رواية في مراسيل أبي داود، وقد نبّهت عليها في الاستدراك على الأطراف»[٣٠٧].

وقال أيضاً: «ظفرت له في (المراسيل) لأبي داود برواية، ذكرت له من أجلها ترجمةً في (تهذيب التهذيب)»[٣٠٨].

ولم ينقلوا للرجل توثيقاً عن أحد من الرجاليّين، بل إنّهم أهملوه، ومَن ذكره فقد نصَّ على أنّه ليس بأهل لأنْ يروى عنه..

قال الذهبي: «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأُموي. روى عن أبيه، وعنه ابنه خالد وعبدالملك بن مروان، مقدوح في عدالته، ليس بأهل أنْ يروى عنه. وقال أحمد بن حنبل: لا ينبغي أنْ يروى عنه»[٣٠٩].

وكذا قال ابن حجر في «التقريب»[٣١٠].

القولُ بلعن يزيد

قد تقدّم أنّه قول أحمد بن حنبل، حكاه عنه جماعة من الأعيان، كابن الجوزي وابن حجر المكّي وغيرهما[٣١١].

منشور الخليفة العبّاسي

وهو قول المعتضد، الخليفة العبّاسي، الذي أخرج كتاباً في ذمّ بني أُميّة، فقال فيه عن معاوية ويزيد:

«ومنه إيثاره بدين اللّٰه، ودعاؤه عباد اللّٰه إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطّلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره.

فلمّا تمكّن منه ما مكّنه منه ووطّأه له، وعصى اللّٰه ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرّة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش، ممّا ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عَبَد نفسه وغليله، وظنّ أنْ قد انتقم من أولياء اللّٰه وبلغ النوى لأعداء اللّٰه، فقال مجاهراً بكفره، ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا *** جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرم من ساداتكم *** وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فأهلّوا واستهلّوا فرحاً *** ثمّ قالوا: يا يزيد لا تُشل

---

(٣٠٧) تهذيب التهذيب ٩ / ٣٧٦ رقم ٨٠٥٨.

(٣٠٨) تعجيل المنفعة: ٥٠٤ رقم ١١٨٧.

(٣٠٩) ميزان الاعتدال ٧ / ٢٦٢ رقم ٩٧٦٢.

(٣١٠) تقريب التهذيب ٢ / ٣٣٢ رقم ٧٨٠٥.

(٣١١) راجع الصفحة ١٨٩ هـ ١.

لستُ من خندف إن لم أنتقم *** من بني أحمد ما كان فعل

ولعت هاشم بالملك فلا *** خبر جاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

ثمّ مِن أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم، سفكه دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مع موقعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة، اجتراءً على الله، وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدةً لعترته، واستهانةً بحرمته، فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمةً، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتثّ أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته»[٣١٢].

مِن القائلين بذلك

وهو قول: القاضي أبي يعلى الفرّاء، والحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، والحافظ أبي الحسن الهيثمي[٣١٣]، والشيخ سعد الدين التفتازاني، والحافظ جلال الدين السيوطي، والعلاّمة شهاب الدين الآلوسي، والعلاّمة شهاب الدين ابن حجر المكّي، والعلاّمة البرزنجي، والشيخ محمّد عبده، وغيرهم من العلماء الكبار والأئمّة الأعلام، وسنورد كلمات بعضهم في ما يأتي:

كلام الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، المتوفّى سنة ٥٩٧: «سألني سائل في بعض مجالس الوعظ عن يزيد بن معاوية وما فعل في حقّ الحسين صلوات الله عليه، وما أمر به من نهب المدينة، فقال لي: أيجوز أن يُلعن؟

فقلت: يكفيه ما فيه، والسكوت أصلح.

فقال: قد علمتُ أنّ السكوت أصلح، ولكن هل تجوز لعنته؟

فقلت: قد أجازها العلماء الورعون، منهم: أحمد بن حنبل»[٣١٤].

---

(٣١٢) تاريخ الطبري ٥ / ٦٢٣ حوادث سنة ٢٨٤ هـ.

(٣١٣) قال الحافظ السخاوي في كتاب «الضوء اللامع»، بترجمة ابن خلدون: «وقد كان شيخنا الحافظ أبو الحسن ـ يعني الهيثمي ـ يبالغ في الغضّ منه، فلمّا سألته عن سبب ذلك، ذكر لي أنّه بلغه أنّه ذكر الحسين بن عليّ رضي الله عنهما في تاريخه فقال: قتل بسيف جدّه.

ولمّا نطق شيخنا بهذه اللفظة أردفها بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكي».

انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٤ / ١٤٧.

(٣١٤) الردّ على المتعصّب العنيد: ٦.

كلام الآلوسي

وقال شهاب الدين الآلوسي البغدادي بتفسير قوله تعالى: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم**)[٣١٥] ما ملخّصه:

«واستدلّ بها أيضاً على جواز لعن يزيد ـ عليه من اللّه تعالى ما يستحقّ ـ : نقل البرزنجي في الإشاعة، والهيثمي في الصواعق، أنّ الإمام أحمد لمّا سأله ولده عبداللّه عن لعن يزيد قال: كيف لا يُلعن مَن لعنه اللّه تعالى في كتابه؟!

فقال عبداللّه: قد قرأت كتاب اللّه عزّ وجلّ فلم أجد فيه لعن يزيد؟!

فقال الإمام: إنّ اللّه تعالى يقول: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**) الآية; وأيّ فساد وقطيعة أشدّ ممّا فعله

يزيد؟! انتهى.

وعلى هذا القول، لا توقّف في لعن يزيد; لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكليفه، ويكفي ما فعله أيّام استيلائه بأهل المدينة ومكّة، فقد روى الطبراني بسند حسن: اللّهمّ من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل.

والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت، ورضاه بقتل الحسين على جدّه وعليه الصلاة والسلام، واستبشاره بذلك وإهانته لأهل بيته ممّا تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله آحاداً، وفي الحديث: ستّة لعنتهم ـ وفي رواية: لعنهم اللّه ـ وكلُّ نبيّ مجاب الدعوة: المحرّف لكتاب اللّه ـ وفي رواية: الزائد في كتاب اللّه ـ ، والمكذّب بقدر اللّه، والمتسلّط بالجبروت ليعزّ من أذلّ اللّه ويذلّ من أعزّ اللّه، والمستحلّ من عترتي، والتارك لسُنّتي.

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم: الحافظ ناصر السُنّة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، وقال العلاّمة التفتازاني: لا نتوقّف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة اللّه تعالى عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

وممّن صرّح بلعنه: الجلال السيوطي عليه الرحمة.

وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافي بالوفيات: إنّ السبي لمّا ورد من العراق على يزيد، خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرّيّة عليّ والحسين رضي اللّه عنهما، والرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنيّة جيرون، فلمّا رآهم نعب غراب، فأنشأ يقول:

لمّا بدت تلك الحمول... البيتين.

يعني: إنّه قتل بمن قتله رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يوم بدر، كجدّه عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما; وهذا كفر صريح، فإذا صحَّ عنه فقد كفر به، ومثله تمثّله بقول عبداللّه بن الزبعرى قبل إسلامه:

ليت أشياخي... الأبيات.

وأفتى الغزّالي عفا اللّه عنه بحرمة لعنه.

---

(٣١٥) سورة محمّد ٤٧: ٢٢.

وتعقّب السفاريني ـ من الحنابلة ـ نقل البرزنجي والهيثمي السابق عن أحمد رحمه الله تعالى، فقال: المحفوظ عن الإمام أحمد خلاف ما نقلا، ففي الفروع ما نصّه: من أصحابنا من أخرج الحجّاج عن الإسلام، فيتوجّه عليه يزيد ونحوه، ونصّ أحمد خلاف ذلك، وعليه الأصحاب، ولا يجوز التخصيص باللعنة، خلافاً لأبي الحسين وابن الجوزي وغيرهما.

وقال شيخ الإسلام ـ يعني والله تعالى أعلم: ابن تيميّة ـ : ظاهر كلام أحمد الكراهة.

قلت: والمختار ما ذهب إليه ابن الجوزي وأبو حسين القاضي ومن وافقهما.

انتهى كلام السفاريني.

وأبو بكر ابن العربي المالكي ـ عليه من الله تعالى ما يستحقّ ـ أعظم الفرية، فزعم أنّ الحسين قتل بسيف جدّه، صلّى الله عليه تعالى وسلّم. وله من الجهلة موافقون على ذلك، (**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً**)[٣١٦].

قال ابن الجوزي عليه الرحمة في كتابه (السرّ المصون): من الاعتقادات العامّة التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السُنّة أن يقولوا: إنّ يزيد كان على الصواب، وإنّ الحسين رضي الله تعالى عنه أخطأ في الخروج عليه; ولو نظروا في الّسيَر لعلموا كيف عُقدت له البيعة، وأُلزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كلّ قبيح.

ثمّ لو قدّرنا صحّة عقد البيعة، فقد بدت منه بواد كلّها توجب فسخ العقد، ولا يميل إلى ذلك إلاّ كلُّ جاهل عامّيّ المذهب يظنّ أنّه يغيظ بذلك الرافضة.

وأنا أقول: الذي يغلب على ظنّي أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً برسالة

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى وأهل حرم نبيّه عليه الصلاة والسلام وعترته الطيّبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي، ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قذر.

ولا أظنّ أنّ أمره كان خافياً على أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، لم يسعهم إلاّ الصبر ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

ولو سُلّم أنّ الخبيث كان مسلماً، فهو مسلمٌ جمعَ من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان.

وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين ولو لم يتصوّر أن يكون له مثلٌ من الفاسقين.

والظاهر أنّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه، ويُلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة; فلعنة الله عزّ وجلّ عليهم أجمعين، وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم، ومن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عين على أبي عبدالله الحسين.

ويعجبني قول شاعر العصر، ذي الفضل الجلي، عبدالباقي أفندي العمري الموصلي، وقد سُئل عن لعن يزيد اللعين:

---

(٣١٦) سورة الكهف ١٨: ٥.

يزيد على لعني عريض جنابه *** فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا

ومن كان يخشى القال والقيل، من التصريح بلعن ذاك الضليل، فليقل: لعن اللّه عزّ وجلّ مَن رضي بقتل الحسين، ومَن آذى عترة النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بغير حقّ، ومَن غصبهم حقّهم; فإنّه يكون لاعناً له; لدخوله تحت العموم دخولا أوّليّاً في نفس الأمر.

ولا يخالف أحدٌ في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها، سوى ابن العربي المارّ ذِكره وموافقيه; فإنّهم على ظاهر ما نُقل عنهم لا يجوّزون لعن مَن رضي بقتل الحسين رضي اللّه تعالى عنه، وذلك لعمري هو الضلال البعيد، الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد»[٣١٧].

وقال الآلوسي: «وما أخبر به الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم من فساد الدين على أيدي أُغيلمة من سفهاء قريش; وقد كان أبو هريرة رضي اللّه تعالى عنه يقول: لو شئت أن أُسمّيهم بأسمائهم لفعلت.

أو المراد الأحاديث التي فيها تعيين أسماء أُمراء الجور وأحوالهم وذمّهم، وقد كان رضي اللّه تعالى عنه يكنّي عن بعض ذلك ولا يصرّح; خوفاً على نفسه منهم بقوله: أعوذ باللّه سبحانه من رأس الستّين وإمارة الصبيان; يشير إلى خلافة يزيد الطريد لعنه اللّه تعالى على رغم أنف أوليائه، لأنّها كانت سنة ستّين من الهجرة، واستجاب اللّه تعالى دعاء أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه، فمات قبلها بسنة»[٣١٨].

وقال: «(**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ**)[٣١٩]، أي بأيّ نوع من الإيذاء كان، وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتّب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه، إشعارٌ بقبول توبتهم.

(**لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**)، أي بسبب ذلك، كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول، وجملة الموصول وخبره مسوق من قبله عزّ وجلّ على نهج الوعيد، غير داخل تحت الخطاب.

وفي تكرير الإسناد، بإثبات العذاب الأليم لهم، ثمّ جعل الجملة خبراً، ما لا يخفى من المبالغة، وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة مع الإضافة إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه، على أنّ أذيّته عليه الصلاة والسلام راجعة إلى جنابه عزّ وجلّ، موجبة لكمال السخط والغضب منه سبحانه.

وذكر بعضهم أنّ الإيذاء لا يختصّ بحال حياته صلّى اللّه عليه وسلّم، بل يكون بعد وفاته صلّى اللّه عليه وسلّم أيضاً، وعدّوا من ذلك التكلّم في أبويه صلّى اللّه عليه وسلّم بما لا يليق، وكذا إيذاء أهل بيته رضي اللّه تعالى عنهم، كإيذاء يزيد ـ عليه ما يستحقّ ـ لهم، وليس بالبعيد»[٣٢٠].

---

(٣١٧) روح المعاني ٢٦ / ١٠٨ ـ ١١١.

(٣١٨) روح المعاني ٦ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٣١٩) سورة التوبة ٩: ٦١.

(٣٢٠) روح المعاني ١٠ / ١٨٥.

وقال: «و (**الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ**)[٣٢١] أبلغ من (عدوّك)؛ ولذا اختير عليه مع اختصاره، والآية قيل: نزلت في أبي سفيان ابن حرب، كان عدوّاً مبيناً لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، فصار عند أهل السُنّة وليّاً مصافياً، وكأنّ ما عنده انتقل إلى ولد ولده يزيد عليه من اللّٰه عزّ وجلّ ما يستحقّ»[٣٢٢].

وقال: «وذكروا من علامات النفاق بغض عليّ كرّم اللّٰه تعالى وجهه..

فقد أخرج ابن مردويه، عن ابن مسعود، قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم إلاّ ببغضهم عليّ بن أبي طالب.

وأخرج هو وابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري ما يؤيّده[٣٢٣].

وعندي أنّ بغضه رضي اللّٰه تعالى عنه من أقوى علامات النفاق،

فإنْ آمنتَ بذلك فيا ليت شعري ماذا تقول في يزيد الطريد؟! أكان يحبّ عليّاً كرّم اللّٰه تعالى وجهه أم كان يبغضه؟!

ولا أظنّك في مرية من أنّه عليه اللعنة كان يبغضه رضي اللّٰه تعالى عنه أشدّ البغض، وكذا يبغض ولديه الحسن والحسين على جدّهما وأبويهما وعليهما الصلاة والسلام كما تدلّ على ذلك الآثار المتواترة معنىً; وحينئذ لا مجال لك من القول بأنّ اللعين كان منافقاً»[٣٢٤].

كلام الشيخ محمّد عبده

والشيخ محمّد عبده يمجّد بمولانا أبي عبداللّٰه عليه السلام، ووصف يزيد بأنّه: «إمام الجور والبغي، الذي ولي أمر المسلمين بالقوّة والمنكَر، يزيد بن معاوية، خذله اللّٰه وخذل مَن انتصر له من الكرّامية والنواصب»[٣٢٥].

* * *

(٣٢١) سورة فصّلت ٤١: ٣٤.

(٣٢٢) روح المعاني ٢٤ / ١٩٠.

(٣٢٣) انظر: تاريخ دمشق ٤٢ / ٢٨٦، تذكرة الحفّاظ ٢ / ٦٧٣، الدرّ المنثور ٧ / ٥٠٤.

(٣٢٤) روح المعاني ٢٦ / ١١٧.

(٣٢٥) المنار في تفسير القرآن ١٢ / ١٨٣.

الخاتمة

وبعد الفراغ من البحث، نرى من الضروريّ التعرّض لبعض المسائل المتعلّقة بحركة الإمام عليه السلام وواقعة الطفّ، تقويةً لعقيدة أهل الإيمان، ودحضاً لتشكيكات بعض أهل النصب والنفاق:

التغيّرات السماوية والحوادث الكونيّة

إنّ الأخبار المعتبرة في كتب القوم المشهورة المعتمدة، في أنّ السماء صارت تمطر دماً بعد استشهاد الإمام وأصحابه، وأنّه ما رُفع حجر من الأرض إلاّ وتحته دم، وأنّه ما ذُبح جزور إلاّ وكان كلّه دماً، وأنّ الشمس انكسفت، وأنّ من شارك في قتله قد ابتُلي بعاهة... هذه الأخبار كثيرة، تجدها في: «دلائل النبوّة» للبيهقي، و «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم، و «سير أعلام النبلاء» للذهبي، و «البداية والنهاية» لابن كثير، و «مجمع الزوائد» للهيثمي، و «تاريخ الخلفاء» للسيوطي، وفي غير هذه الكتب.

ونحن نكتفي بإيراد بعض ما نصَّ الحافظ الهيثمي والحافظ ابن كثير ـ وهما من نقدة الحديث عندهم ـ على صحّته أو حسّنه سنداً:

● قال الهيثمي: «عن أُمّ حكيم، قالت: قُتل الحسين وأنا يومئذ جويرية، فمكثت السماء أيّاماً مثل العلقة».

قال: «رواه الطبراني، ورجاله إلى أُمّ حكيم رجال الصحيح»[٣٢٦].

● وفيه: «عن أبي قبيل، قال: لمّا قُتل الحسين بن عليّ انكسفت الشمس كسفةً حتّى بدت الكواكب نصف النهار، حتّى ظننّا أنّها هي».

قال: «رواه الطبراني، وإسناده حسن»[٣٢٧].

● وفيه: «الزهري، قال: قال لي عبدالملك: أيّ واحد أنت إنْ أعلمتني أيّ علامة كانت يوم قتل الحسين؟

فقال: قلت: لم تُرفع حصاة ببيت المقدس إلاّ وُجد تحتها دم عبيط.

فقال لي عبدالملك: إنّي وإيّاك في هذا الحديث لقرينان».

قال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»[٣٢٨].

● قال: «وعن الزهري، قال: ما رُفع بالشام حجر يوم قُتل الحسين بن عليّ إلاّ عن دم».

قال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح»[٣٢٩].

---

(٣٢٦) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦، وانظر: المعجم الكبير ٣ / ١١٣ ح ٢٨٣٦.

(٣٢٧) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٧، وانظر: المعجم الكبير ٣ / ١١٤ ح ٢٨٣٨.

(٣٢٨) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦، وانظر: المعجم الكبير ٣ / ١١٩ ح ٢٨٥٦.

(٣٢٩) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦، وانظر: المعجم الكبير ٣ / ١١٣ ح ٢٨٣٥.

● وفيه: «عن دويد الجعفي، عن أبيه، قال: لمّا قُتل الحسين انتُهِبت جزورٌ من عسكره، فلمّا طُبخت إذا هي دم».

قال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»[٣٣٠].

● وقال ابن كثير: «وأمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَن قتله فأكثرها صحيح، فإنّه قلّ مَن نجا مِن أُولئك الّذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتّى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون»[٣٣١].

البكاء على الحسين

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: في أصل البكاء عليه:

● أخرج أحمد، عن نَجِيّ، أنّه سار مع عليّ رضي الله عنه، وكان صاحب مطهرته، فلمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى صِفّين، فنادى عليٌّ رضي الله عنه: اصبر أبا عبدالله! اصبر أبا عبدالله بشطّ الفرات!

قلت: وماذا؟!

قال: دخلتُ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم وعيناه تفيضان...[٣٣٢].

قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزّار والطبراني، ورجاله ثقات، ولم ينفرد نجيٌّ بهذا»[٣٣٣].

● وأخرج الطبراني، عن أُمّ سلمة، قالت: «كان رسول الله جالساً ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخل عليَّ أحد!

فانتظرت، فدخل الحسين رضي الله عنه، فسمعت نشيج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبكي، فاطّلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل.

فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام كان معنا في البيت، فقال: تحبّه؟ قلت: أمّا من الدنيا فنعم. قال: إنّ أُمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء. فتناول جبريل عليه السلام من تربتها فأراها النبيّ...»[٣٣٤].

قال الهيثمي: «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها ثقات»[٣٣٥].

● وأخرجه الحاكم النيسابوري في «المستدرك»[٣٣٦].

المطلب الثاني: في تكرار البكاء عليه واستمراره:

---

(٣٣٠) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦، وانظر: المعجم الكبير ٣ / ١٢١ ح ٢٨٦٤.

(٣٣١) البداية والنهاية ٨ / ١٦١ حوادث سنة ٦١ هـ

(٣٣٢) مسند أحمد ١ / ٧٥، وانظر: مسند أبي يعلى ١ / ٢٩٨ ح ١٠٣.

(٣٣٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧.

(٣٣٤) المعجم الكبير ٣ / ١٠٨ ح ٢٨١٩.

(٣٣٥) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩.

(٣٣٦) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٩٤ ح ٤٨١٨.

قال الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام لمّا سُئل عن كثرة
بكائه على أبيه واستمراره على ذلك، في ما رواه الحافظ أبو نُعيم:

«لا تلوموني! فإنّ يعقوب فقد سبطاً من وُلده، فبكى حتّى ابيضّت عيناه ولم يعلم أنّه مات; وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي في غزاة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي؟!»[٣٣٧].

فالإمام عليه السلام استشهد بقصّة يعقوب، وكثرة بكائه واستمراره على ذلك كلّما ذكره... كما في القرآن الكريم... حتّى ابيضّت عيناه...

والنبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لمّا أمر بالبكاء على سيّدنا حمزة عليه السلام، جعل الناس يبكون حمزة كلّما أرادوا البكاء على قتلاهم أو موتاهم، والنبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يقرّهم على ذلك... قالوا: فكانت هذه سُنّة عند المسلمين في المدينة المنوّرة، وكانت عادة باقية مستمرّة لقرون كثيرة، قال الحاكم: «وإلى يومنا هذا»[٣٣٨].

النياحة والجزع على الحسين

لقد أفتى فقهاؤنا بجواز النياحة والجزع على كلّ ميّت من المسلمين، قال السيّد اليزدي في «العروة»: «يجوز النوح على الميّت
بالنظم والنثر ما لم يتضمّن الكذب...»[٣٣٩].

قال: «وأمّا البكاء المشتمل على الجزع وعدم الصبر، فجائز ما لم يكن مقروناً بعدم الرضا بقضاء اللّه; نعم، يوجب حبط الأجر، ولا يبعد كراهته»[٣٤٠].

هذا، وقد ورد في خصوص الجزع على سيّد الشهداء عليه السلام ما يدلّ على عدم الكراهية; فقد روى الشيخ عن المفيد، بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»[٣٤١].

* * *

(٣٣٧) حلية الأولياء ٣ / ١٣٨.

(٣٣٨) المستدرك على الصحيحين ١ / ٥٣٧ ح ١٤٠٧.

(٣٣٩) العروة الوثقى ١ / ٣٢٩ المسألة ١.

(٣٤٠) العروة الوثقى ١ / ٣٢٩ المسألة ٢.

(٣٤١) الأمالي ـ للشيخ الطوسي ـ : ١٦٢ ح ٢٦٨.

المحتويات

الجزء الأول

كلمة المركز

كلمة المؤلّف

مقدّمات البحث

المقدّمة الأُولى: في تأسيس معاوية الدولة الأُموية

المقدّمة الثانية: في بعض قضايا معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام

المقدّمة الثالثة: في أهمّ بنود الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

المقدّمة الرابعة: في أنّ معاوية نقض العهد وقاتل من أجل الدنيا

المقدّمة الخامسة: في الإعلان عن العهد ليزيد

المقدّمة السادسة: في مجمل ترجمة يزيد

الحلقة الأُولى: دور معاوية

البابُ الأوّل: جهود معاوية في سبيل حكومة يزيد

الفصل الأوّل: ولاة الكوفة في عهد معاوية

المُغِيْرَة بن شُعْبَة

زياد بن أبيه

عبدالله بن خالد بن أُسيد

الضحّاك بن قيس

عبدالرحمن بن أُمّ الحكم

النعمان بن بشير الأنصاري

الفصل الثاني: تصفية الشيعة في الكوفة

أدوار الولاة

دور زياد في القضاء على رجالات الشيعة

قتل حُجر بن عديّ الكندي
قتل عمرو بن الحَمِق
سجن زوجة عمرو ونفيها إلى حمص
قتل رشيد الهجري
قتل جويرية بن مسهر العبدي
الحضرميّان
تسيير الآلاف من الكوفة إلى خراسان
آخر ما عزم زياد على فعله
الفصل الثالث: الإجراءات في الشام والحجاز
١ ـ الاغتيال
سمّ سعد بن أبي وقّاص
قتل عائشة
سمّ عبدالرحمن بن أبي بكر
سمّ عبدالرحمن بن خالد وكان أهل الشام يريدونه
عاقبة أمر زياد بن أبيه
٢ ـ التبعيد
٣ ـ بذل الأموال
٤ ـ المكاتبة
٥ ـ السفر إلى الحجاز والخديعة
الفصل الرابع: شهادة الإمام الحسن بسمّ معاوية
الفصل الخامس: بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية
من الكتب بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية
ومن كلام الإمام الحسين عليه السلام عن يزيد بن معاوية
الفصل السادس: كتب أهل العراق إلى الإمام الحسين عليه السلام في حياة معاوية
ريبة الإمام في الكتب وأصحابها

البابُ الثاني موت معاوية

وبدء تطبيق مخطّطاته ضدّ الإمام الحسين عليه السلام

الفصل الأوّل: مواقف الولاة من الإمام الحسين عليه السلام
من بنود الصلح أن لا يغتال الحسن أو الحسين
وصيّة معاوية حول الحسين عليه السلام
سعي الحكومة كان وراء خروج الإمام من المدينة

مواقف الولاة من الإمام ومن نائبه في الكوفة

بين الوليد والإمام

الإمام في مكّة المكرّمة

كتب أهل الكوفة، والإمام يبعث مسلماً

الفصل الثاني: تولية يزيدَ ابنَ زياد على الكوفة

من هو النعمان بن بشير؟

استشهاد مسلم وهاني بن عروة

كتاب عمرو بالأمان

الحلقة الثانية

البابُ الأوّل: دور يزيد بن معاوية

الفصل الأوّل: في أنّ يزيد أمر بقتل الإمام عليه السلام

١ ـ كتاب يزيد إلى الوليد والي المدينة

٢ ـ كتاب يزيد إلى ابن زياد

٣ ـ كتاب ابن عبّاس إلى يزيد

٤ ـ خطبة معاوية بن يزيد

٥ ـ أمرُه ابنَ زياد بقتل مسلم بن عقيل

٦ ـ سروره بمقتل مسلم بن عقيل

٧ ـ سروره بمقتل الإمام

٨ ـ كلام الحصين بن نمير مع يزيد

٩ ـ إقرار ابن زياد

١٠ ـ حمله الرؤوس والعيال إلى الشام

الفصل الثاني: في أنّ يزيد أمر بحمل رأس الإمام ورؤوس الشهداء وسبي العيال إلى الشام

حمل الرؤوس إلى الشام

حمل الرؤوس والعيال كان بأمر من يزيد

شعره عندما تطلّع إلى السبايا والرؤوس

وصول رأس الإمام إلى يزيد

دخولهم على يزيد موثَّقين بالحبال

الفصل الثالث: من الوقائع في الشام

التحوّل في الشام، وظهور سرّ أخذ الإمامِ الأهلَ والعيال

كرامةٌ من الرأس الشريف

خطبة الإمام السجّاد عليه السلام

إقامة المناحة ثلاثة أيّام في دمشق
خبر نزول آية المودّة في أهل البيت
كلام الإمام السجّاد عليه السلام مع المنهال
موقف الصحابي أبي برزة
موقف التابعي خالد بن غفران
ندم يزيد!!
إقرار العلماء بأمر يزيد وقولهم بكفره

الجزء الثاني

كلمة المركز

البابُ الثاني: دور الحزب الأُموي والخوارج في الكوفة

تمهيدات

الأمر الأوّل
الأمر الثاني
الأمر الثالث
الأمر الرابع

الفصل الأوّل: في الكتب والرسل

كتب أهل الكوفة إلى مكّة

الفصلُ الثاني: في إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة

الفصل الثالث: الإعلان عن العزم على الخروج من مكّة

الفصل الرابع: في مجمل الوقائع في الطريق

أخذه العِير في التنعيم
الإمام والفرزدق في الصفاح
وصول كتاب عبدالله بن جعفر
كتاب الإمام إلى الكوفة من الحاجر
بين الإمام وعبدالله بن مطيع في ماء
ما سمعته زينب بنت عليّ في الخزيميّة
بين الإمام وزهير بن القين في زَرُود
واختصر ابن الأثير الخبر فقال
وصول خبر مقتل مسلم وهاني إلى الإمام بالثعلبيّة
شعرٌ للإمام عليه السلام في الشقوق
وصول خبر مقتل عبدالله بن يقطر في زبالة
الإذن بالانصراف

بين الإمام ورجل من العرب في بطن العقبة
رؤيا الإمام عليه السلام
بين الإمام والحرّ بن يزيد في ذي حسم
خطبة الإمام
بين الإمام والطرمّاح وأصحابه في عذيب الهِجانات
بين الإمام ورجل من الكوفة في الرهيمة
بين الإمام وعبيدالله بن الحرّ في قصر بني مقاتل
الإمام في نينوى وكتاب ابن زياد للحرّ
الفصل الخامس: طبيعة المجتمع الكوفي في عصر عليّ والحسنين عليهم السلام
١ ـ الشيعة
٢ ـ الحزب الأُموي
٣ ـ الخوارج
ترجمة شَبَث بن ربعي
ترجمة عمرو بن حريث
الفصل السادس: هل كان الّذين كتبوا إلى الإمام شيعةً له؟
رُسُل أهل الكوفة إلى الإمام
الفصل السابع: إجراءات ابن زياد في الكوفة
١ ـ الشائعات
٢ ـ نصب العرفاء
٣ ـ نصب رؤساء القبائل
٤ ـ بثُّ الجواسيس
٥ ـ محاصرة الكوفة
القضاء على الشيعة
ميثم التمّار
عبيدالله الكندي
عبيدالله بن الحارث
عبدالأعلى الكلبي
العبّاس الجدلي
عمارة الأزدي
اعتقال المختار وسليمان وجماعته
كلمةٌ حول سليمان بن صرد
خطبة ابن زياد بعد الإجراءات لحمل الناس على الخروج

تحقيق في الخارجين مع ابن زياد

الفصل الثامن: قادة جيش ابن زياد

أهل الشام في جيش ابن زياد

أهل مصر وأهل اليمن في جيش ابن زياد

العثمانيّون في جيش ابن زياد

بقي أن نشير إلى خطب وكلمات

قضايا تؤكّد على كونهم شيعة آل أبي سفيان

نتائج البحث

الحلقة الثالثة: دور علماء السوء

الفصل الأوّل: في وضع الأحاديث

اتّخاذ النواصب يوم عاشوراء عيداً

حديثٌ في مدح يزيد!!

لم يصحّ في فضل معاوية شيءٌ

الفصل الثاني: في الأكاذيب والتحريفات

١ ـ ندم الإمام عليه السلام!!

٢ ـ همّ الإمام بالرجوع وهو في الطريق!!

٣ ـ اختاروا منّي خصالا ثلاثاً; قاله ليلة عاشوراء!!

٤ ـ عدد القتلى في جيش ابن زياد

الفصل الثالث: في التناقضات في الكلمات

ابن تيميّة

ابن العربي المالكي

عبدالمغيث البغدادي

الغزّالي

عبدالقادر الجيلاني الحنبلي

الذهبي

ابن حجر العسقلاني

السبب في الدفاع عن معاوية ويزيد

الفصل الرابع: في قول العلماء بكفر يزيد ولعنه

يزيد في كتب الحديث والرجال

القولُ بلعن يزيد

منشور الخليفة العبّاسي

مِن القائلين بذلك

كلام الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي

كلام الآلوسي

كلام الشيخ محمّد عبده

الخاتمة

التغيّرات السماوية والحوادث الكونيّة

البكاء على الحسين

النياحة والجزع على الحسين